20 me. année No 994

Le Caire 21 – 6 – 1952

بدل الاشتراك عن سنة
مـ
١٠٠ فى مصر والسودان
١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى
ثمن هذا العدد ٢٠ مليما

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العدد ٩٩٤ «القاهرة فى يوم الاثنين ٢٩ شوال سنة ١٣٧١ — ٢١ يوليه سنة ١٩٥٢ — السنة العشرون

علمـــــاء !

من مفاليك العامة جماعة انتسبوا إلى علماء الدين كما ينتسب الزوان إلى الحنطة . نالوا شهادة العلم بالغش ، ولبسوا شارة الدين بالباطل ، وبلغوا مناصب الدنيا بالملق ؛ ثم اندسوا فى المجتمع اندساس الإثم فى الضمير ، أو الداء فى البدن ، فكانوا فى الوحدة مظهر تفريق ، وفى النهضة مصدر تعويق ، وفى العقيدة مثار شبهة . ثم اتخذوا من دورهم معامل لتفريخ الأكاذيب ، ومن ندواتهم وسائل لترويج الشوائع ! يشيعون الفاحشة فى الذين آمنوا ، ويثيرون الريبة فى الذين عملوا ، ويقعدون من حركات الأصلاح مقاعد للتربص والتلصص ؛ فإذا دعاهم المصلح هبوا فى وجهه هبّة الريح العاتية على المصباح الهادى ؛ وإذا دعاهم المفسد نفحوا قلبه الواوى نفح النسيم الرخى للنار المشتعلة ! ذلك لأنهم لا يختلون فرائسهم إلا فى الظلام ، ولا يشوون ذبائحهم إلا فى الحريق . ينفرون من العبير كما تنفر الجعلان ، ويفرون من النور كما تفر الخفافيش ، ويموتون من الطهر كما تموت الجراثيم ، ويفزعون من الخير كما تفزع الشياطين ! أما الروح ، وأما الدين ، وأما الخلق ، وأما الأدب ، فهى ألفاظ شأنها فى صدورهم كشأنها فى المعجم : صفات لا تدل على موصوف ، وكلمات لا تزيد على أنها حروف !

المادة فى حياتهم الفارغة هى كل شئ . غلّفوا بها قلوبهم حتى صدئت منهم النفوس ، وأفعموا بها أفواههم حتى تنتنت منهم الأنفاس . ثم جعلوها قياساً لكل قضية ، وسببا لكل حكم ، وأساسا لكل نقد ، وغرضا من كل عهد ؛ فإن أعطوا منها رضوا ، وإن لم يعطوا منها إذا هم يسخطون !

وقد تسول لهم النفس الغرور أن يلوثوا وجوه الصحف بما يكظ بطونهم من أخلاط الحقد على المصلحين والعاملين فيكشفوا عن سوءاتهم ثم يدعوها تزكم الأنوف بالنتن الوبئ ، وتؤذى الآذان بالصوت الكريه !

إن من أول وسائل الاصلاح للدين والدنيا أن يُكسح هؤلاء من معاهد العلم ومقاعد التعليم كما تكسح الأوحال من الطريق . فإن البانى لا يبنى وفى يده مسطرين وفى أيديهم معول . وإن الغارس لا يغرس وفى يده مشتل وفى أيديهم منجل . ولولا أبو جهل وابن سلول وشيعتهما من عدو الله لما قال الرسول الصادق الصابر الشجاع وهو يلوذ بأحد الجدر : اللهم إنى أشكو إليك ضعف قوتى وقلة حيلتى وهوانى على الناس !

وأفظع الأمر أن أولئك كانوا يحاربون الله وهم يقولون : كذب ؛ وهؤلاء يحاربونه وهم يقولون : صدق ! وإن الكفر خير من النفاق . وإن المداورة أفضل من الخديعة . وإن الصراحة على كل حال عظمة ، وإن المراءاة على أى وجه حقارة !

([illegible])

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

التصوف على « البلاج »

للأستاذ أنور الجندى

من أعجب المفارقات أن يذكرنى « البلاج » بالتصوف بل لعل غاية العجب أن أكتب هذا الفصل أمام إحدى « كباين » ستانلى باى . .

وليست هذه هى المرة الأولى فيما أعتقد، التى تدعو المفارقات فيها مثل هذه الدعوة . .

إننا لاشك نمر بمحنة عنيفة ، تبدأ أطرافها الأولى هنا على البحر ، وتنتهى هناك فى معترك الحرية واستخلاص الحقوق ، وإقامة المجتمع الصالح . .

وليس فى الإمكان أن يجتمع الخير والإثم معا ، ولا أن يشترك الحق والباطل ، ولا يمكن أن نواجه المستقبل إلا بنفوس مفطومة من الشهوات وأوضار اللذات . . فإذا لم نستطع أن نصوغ هذه النفوس ، كنا أعجز عن أن نحقق لوطننا أو لبلادنا ما نبتغيه من مَجد

ولا عبرة بما يقوله البعض ، من أن النفس الإنسانية تستطيع أن تجمع بين الجهاد واللذة ، أو أن بعض المكافحين والمناضلين كانوا فى حياتهم الخاصة على غير الصورة المثالية التى كانوا يدعون إليها . .

إن « البلاج » الآن مدرسة ضخمة من مدارس الرخاوة والميوعة والانطلاق ، يتلقى فيها الآباء والأمهات والشبان والفتيات والأطفال دروساً على جانب كبير من الخطورة ، إنها أبعد أثرا فى مستقبل هذا الوطن من مدرسة السينما ، أو قل إنها التطبيق العملى لتلك الصور المتحركة

إننى أشك كثيرا فى قدرة الشباب الذى اعتاد أن يقضى بضعة شهور من العام فى محيط ينضح بالإغراء ، واشترك إلى حد كبير فى تلك المناورات التى تقوم على الشاطئ وفى الأمواج ، وفى الكابينات ، أشك كثيرا فى أنه يستطيع الصمود يوما لمعركة فاصلة فى سبيل الحرية أو الإصلاح . .

وهذه الفتاة وهى النصف الثانى من الأمة ، هى الجزء البعيد الأثر فى رعاية الزوج وتنشئة الابن ، كيف يمكن أن يعتمد عليها ، وهى على هذه الصورة من الاندفاع فى العباب العنيف

أنا أومن كل الإيمان بحق الجسم فى الرياضة والهواء والماء ولكن ليس على هذه الصورة المزعجة القاسية ، التى لا يمكن أن تحتملها نفسية الشباب المراهق ، دون أن تدفعه دفعا إلى اتجاه قد يكون بعيد الأثر فى حاضره ومستقبله . .

فى الإمكان أن يتاح للأسر وللشباب وللفتيات أن يحققوا جميعا غاياتهم من الاستفادة من الهواء والماء ، بطريقة أو بأخرى، أما على هذه الصورة ، فليس الأمر أمر صحة أو راحة أو إجازة ، فإن الحياة فوق البلاج ليست باليسيرة على النفوس التى تعيشها ، وليست مؤدية بأى حال إلى ذلك السلام أو الاستجمام المنشود . .

وإنما هذا « سوق » يقام ، فيه كل أنواع الصراع والصياح والضجيج ، وفيه قسوة النزاع النفسى الداخلى ، وأسباب الإغراء ، ووسائل المتاع الجسدى ، واستفزاز الشهوات ، وتدفقها واندفاعها . .

إن الحياة فى القاهرة طوال العام ليست إلا مقدمات أو نتائج لهذه الفترة التى يقضيها الفتى أو الفتاة على البلاج . إنها فترة التحضير والأحلام بالأجساد العارية ، والجلسات المائلة والنظرات الباسمة ، أو هى النتائج القاسية للحظات التى استحكم فيها الشيطان ، أو تطامنت فيها الغريزة . .

إن « الحرية » التى يتمتع بها الناس على البلاج « ضريبة » قاسية تدفع من الأجساد ومن النفوس ومن الأرواح ، تدفع من حساب هذا الوطن ، ولا يستفيد بها إلا خصومه ، فهى

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

تؤخر نهضته أعواما، بل أجيالا.. وهى لا تفسد نفوس الجيل الحاضر فحسب، بل تترك جراثيم المرض لتنمو فى أجساد أخرى، ما زالت يافعة نضرة، فإذا استوت كانت أعجز من أن تقاوم التيار أو تواجه الحقائق.. فإذا ما اصطدمت فى «معركة» خرت كليلة واهية

إن الأمم التى أطلقت لنفسها العنان فى ميدان اللهو كانت قد تحررت أولا ونضجت، واستحصدت شخصيتها.. فكان عليها بعد ذلك أن تلهو.. أما «نحن» الذين ما زلنا نكافح ونجاهد ونصارع فى سبيل الوجود الذاتى، وفى سبيل تحرير أوطاننا، وإقامة دعائم مجتمع كامل، فإننا فى حاجة إلى سواعد قوية مفتولة، ونفسيات قدبلغت غاية السمو والكرامة والعزة، نفوس قد فطمت عن الشهوات، وترفعت عن الصغائر، وتسامت عن النزوات، فحفظت كيانها الروحى والنفسى والعقلى قويا عاليا.. ولا شك أن مدرسة «البلاج» تتعارض مع هذا النوع من الشباب تعارضا كاملا، بل إنها من أسباب القضاء عليه.. إنها تمده بالمادة السامة التى تحطم البقية الباقية فيه.. فلا تدعه يسطع يوما، أو يقف موقفا حاسما، أو يصمد فى جولة حامية

ولعل هذه المعانى هى التى جعلتنى أفكر فى «التصوف».. التصوف المستنير الذى عرفه عمر وعلى والحسن البصرى والجنيد..

هذا الذى يرتبط فيه الزهد فى مغريات الدنيا بالقدرة على مواجهة الحقائق..

فليس شك أن الرجل «الجنتيل» الذى لا يستطيع أن يجهر بكلمة الحق، هو فى الأغلب رجل غلبت عليه المطامع الدنيوية، فهو يجامل ويتملق، ويسمع مايكره، ويخفى آراءه الخاصة، حتى لا تنشأ خصومة مع فلان أو فلان، ممن قد تضطره الحياة يوما إلى أن يلجأ إليه.. وبهذا يظل إمعة، ومصدر هذا أن متاع الحياة قد وقذه، فماتت فى نفسه روح الجرأة والشجاعة الأدبية

أما الصوفى الزاهد الذى استهان بالدنيا واحتقرها، فهو أجرأ الناس فى قول كلمة الحق، ونقد ما يراه..

ولذلك عرف المتصوفة بالجرأة على الزعماء والأمراء والحكام يجبهونهم بكلمة الحق، ويقولونها سافرة جريئة ولا يبالون.. لأن الحياة هانت عليهم فلم يعد يخيفهم الحرمان منها، ولأنهم قداستخفوا بزخرفها، وامحت من قلوبهم مطامعها، فأصبحوا يرددون مع الصوفى القديم «إن قتلى شهادة، وسجنى خلوة، وتغريبى سياحة»

والتاريخ يذكر شميطا والفضيل بن عياض وعطاء وأبى حازم وابن السماك وعمارة بن حمزة والأوزاعى، بأنهم كانوا زهادا صوفية، وقفوا مواقف الجرأة فى تذكير الخلفاء بعيوبهم وأخطائهم، ورفضوا ما يقدم لهم من أعطيات أو هدايا، وكان الخلفاء من سليمان إلى المنصور إلى الرشيد إلى المهدى يسمعون نصحهم بقلوب واجفة، ونفوس متأهبة لقبول النصح

وعندما وضع الغزالى أصول التصوف، نصح الصوفية باعتزال الأمراء والحكام، والانصراف عن موائدهم، حتى يكون لديهم من الشجاعة ما يكفيهم لأداء رسالتهم فى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر

* * *

ونحن فى حاجة إلى موجة من التصوف، حتى نوازن ذلك الخطر «البلاجى»، وقديما كان التصوف يغزو ميادين الحياة عندما يجنح الناس إلى الترف والغنى، وينصرفون إلى الأمصار ويكونون الثروات، فكان بذلك عامل «سد الفراغ» كما يقول المحدثون

ويرمى التصوف فى صميمه إلى القناعة ونفض اليد من البريق، وشغل القلب عن المتاع، والانصراف عن زخرف المال والنضار إلى ما هو أسمى منه..

والتصوف فى غايته يدعو إلى القصد من متاع الدنيا، رجاء

متاع الآخرة ، والانصراف عن كثير من حلال المتاع خوف الوقوع في حرامه ، ويهدف إلى حرمان النفس مما تتطلع إليه مما في أيدي الناس

وكان هؤلاء الصوفية أنفسهم يحملون السيف إبان الغزو ، فإذا انتهى الجهاد بالسيف عادوا إلى جهاد النفس وإخلاص النية لله

وليس شك أن انصراف النفس الإنسانية في بعض العهود من التصوف هو الذي أرخى العنان لهجمات التتار والصليبيين ، وكان عاملا فعالا من عوامل الهزيمة ، إذا واجهت هذه القوات التي كانت تحمل فكرة معينة ، جيلا مريضا رخوا قد أضرت به الرغبات وقتلت قوته وصلابته ، فلم يستطع أن يقف أمام الجحافل المغيرة أو يردها ، فلما برز مرة أخرى الرجال الذين أشربوا روح الصوفية الحقة أمثال الشهيد نور الدين زنكي وغيرهم أمكن مقاومة العتاة وسحقهم ، واستعادة مجد البلاد

هي الصوفية الناصعة الصافية التي كانت تعتصم باحتقار المغانم والأموال والجاه ، في سبيل الله ، وترى رجالها فوق سروج الخيل ، وأطباق الماء وأعماق الصحراء

إن نظام الفروسية في ذاتها الذي اقتبسه الأوربيون ، نظام صوفي ، ونظام الصفوة القائم على الكرم والسخاء والشجاعة والمروءة نظام صوفي ، وهي تهدف في جملتها إلى أن يجرد الفرد نفسه للأمة ، فيعيش للجماعة ويعيش للفكرة ، ويعيش للمثل الأعلى

ولا شك أن روح الصوفية الخالصة هي التي دفعت أبي حنيفة عن أن يقبل القضاء ، وهي التي أدت إلى أن يجلد مالك ويعذب أحمد بن حنبل

فلست أقصد بالتصوف ، ذلك الزهد والاعتدال والاعتكاف ، فليس هذا من الإسلام في شيء . إننا نمر بمرحلة « الضرورة » من تاريخ الوطن ، وهي تقتضينا أن نكون جميعا جنوداً ، قد أعدوا أنفسهم لاحتمال أعباء كفاح ضخم طويل المدى ، من شأن هذا الكفاح أن نمد له أنفسنا بالتربية الروحية ، هذه التربية التي تستدعي صلابة النفس وقوة الاحتمال والقدرة على مواجهة الخطوب

وإن يتيسر هذا للشباب الذي يبذ شبابه ورجولته ووقته ، ويصرفها على غير وجهها

نريد ذلك «التصوف» الذي تحس النفس فيه بالقوة أمام غزوات الإغراء ، والاستعلاء أمام اللذات والشهوات ، هذا التصوف الذي يدفعنا في الحياة كراما ، نعمل ونجاهد ونواجه الخطوب ، فنصبر لها ونقاومها ، ولا ننهزم أمامها ولا ننهار

إستانبول بابي — أنور الجندي

مختارات من الأدب الفرنسي

شعر ونثر

للأستاذ أحمد حسن الزيات بك

مجموعة من أروع القصص القصيرة وأبلغ القصائد الفريدة لصفوة من نوابغ كتاب فرنسا وشعرائها

وثمنه ٢٥ قرشا عدا أجرة البريد

ARCHIVE http://archivebeta.sakhrit.com

عود على بدء

الاستعمار البريطاني في الملايو
عرض وتحليل

للأستاذ محمد جنيدي

هناك في الشرق الأقصى على بعد آلاف الأميال من قلب العالم الإسلامي يربض شبه جزيرة الملايو ربضة الأسد المتحفز للوثبة الكبرى للتحرر من قيود الذل والاستعباد

هناك وعى قوى منبعث من النفوس الحرة ، ثائر على الأوضاع الاستعمارية . يمثل القوى القومية المناهضة للقوى الاستعمارية . يضع الخطوط الرئيسية الأولى لبرنامج قوى لإعداد قوى الأمة لجهاد طويل مرير ، وكفاح شاق عنيف . تسفك خلاله دماء زكية ، وتبذل أموال طائلة ، حتى يتحقق الأمل القوى المنشود

لقد انقضى أكثر من ثلاثة قرون للحكم البريطاني في الملايو تخللتها تطورات في أنظمة الحكم ، وتغييرات في شؤون المال والاقتصاد . ولا يزال الحكم البريطاني فارضا سلطته على الشعب الملايوى مستغلا جهوده . وملايا قطر شرق يقع في جنوب شرق آسيا ، يطل على المحيط الهندي . اشتهر في العصر الحديث بإنتاجه الزاخر من المطاط والقصدير ، وبقاعدته الحربية (سنغافورة) وأهم إنتاجه المعدني القصدير . وفي جزيرة سنغافورة القاعدة الحربية البريطانية أكبر مصفاة لتصفية القصدير الخام في العالم تملكها الشركات البريطانية . يرد القصدير الخام على الناقلات البحرية من سائر أنحاء العالم لتصفيته ثم تصديره إلى الأسواق العالمية . وأما أهم إنتاج ملايا الزراعي فهو الأرز . وتنتج غاباتها الكثيفة أنواعا مختلفة من الأخشاب . ويصدر المطاط والقصدير والأخشاب وزيت جوز الهند والأناناس والكوبرا إلى البلدان الأجنبية . وتستغل الشركات البريطانية والأوربية والصينية المزارع الواسعة التي تفيض بأحسن المنتوجات . ويتحكم البريطانيون في إنتاج المطاط وفي تقرير سعره . والمطاط هو الدافع العظيم لبقاء بريطانيا في الملايو . فقد تخلت عن بعض مستعمراتها في الهند الشرقية لهولاندا إزاء تنازل هولندا عن بعض مستعمراتها في الملايو ... ففي عام ١٨٢٤ تنازلت بريطانيا عن ولاية (Bankulen) في جزيرة سومطرا لهولندا . وتخلت هولندا لها عن مقاطعة (Malacca) في الملايو . ويظهر لنا من خلال هذا التبادل مدى اتحاد الحكومات الغربية في سبيل استعباد الشعوب الشرقية الضعيفة . وفي سبيل الاستعمار والاستغلال تأتلف القوى الغربية الحديثة وتقف جبهة متحدة أمام القوى المناوئة لها . وأبرز مظاهر التعاون الاستعماري الغربي الحديث : الحرب الكورية والقتال في الهند الصينية والحركات العسكرية في الملايو . فقد اتحدت الدول الاستعمارية الكبرى على القضاء على الحركات التحريرية المنبعثة من البلدان الشرقية التي لا تزال تتجرع علقم الاستعمار الغربي . كما تعاونت تعاونا تاما فيما بينها على أحسن الطرق التي يجب على كل منها أن تتبعها إزاء ثورات الأفكار الحرة التي تطالب بالحرية والاستقلال ولا تزال نيران المعارك التحريرية متدلعة في أنحاء الشرق للقضاء على الاستعمار الغربي

بدأ الاستعمار البريطاني في القرن السابع عشر يبسط نفوذه على الملايو . فقد مهدت (شركة الهند الشرقية) البريطانية السبل أمام الحكومة البريطانية لاستعمار الملايو . والاستعمار البريطاني الملايو بدأ أولا عن طريق الفتح الاقتصادي حيث تغلغلت شركة الهند الشرقية البريطانية في حياة الشعب الملايوى الاقتصادية . وغدت المرافق العامة في قبضتها ، واستغلت جهود الشعب الملايوى في الإنتاج ، كما استغلت سوء الحكم الإقطاعي الذي تميز به ذلك العصر في ضم الحكام البريطانيين إليها . حتى تركزت قدمها وانتشر نفوذها . وغدت الحياة الملايوية الاقتصادية تحت إشرافها . فرجال الاستعمار البريطانيون رجال ذوو خبرة وكفاءة ممتازة في أعمالهم ، وذوو معرفة بعلم النفس استعملوا كل وسائل الإغراء والنفاق في جذب النفوس واستمالتها ، والوسائل الاستعمارية البريطانية قد وضحت لدى الشعوب الشرقية ، ورغم معرفتها لها ، فإن التدخل البريطاني في شؤون الشرق

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

لا يزال مستمرا ، وإذا حققنا الأسباب التي جعلت بريطانيا تتدخل في شؤون الشرق منذ ثلاثة قرون إلى اليوم ، برزت لنا من خلال هذه القرون الطويلة مآس دامية ملوحت بالمثل الإنسانية العليا وبالكرامة والشرف ، وصفاء القلب ، ونقاء النفس ، ونزاهة العمل ، مفقودة من بعض الزعماء الشرقيين الذين نصبوا أنفسهم زعماء على شعوبهم ، فأصبحت بلادهم وشعوبهم بالخسران المبين جزاء لما اقترفوه من إثم . ثم كانت الطامة الكبرى ، والبلية العظمى . بلية الاستعمار والاستعباد . ولم يدر بخلد الزعماء الشرقيين أن يدرسوا حياة القادة الأوائل الذين أقاموا صروح المدنية الشرقية التي غايتها سعادة الإنسانية وخدمة البشرية ، فاحتفظوا بحرية أوطانهم قرونا عديدة ، حتى انهارت ممالكهم بخروج خلفهم عن السياسة المرسومة التي وضعت لحفظ تراث المدنية الشرقية ، أو يدرسوا حياة القادة الغربيين الذين فرضوا نفوذ حكوماتهم على الشرق ، وكيف كانت نفوسهم تسمو على الصغائر .. لكي تصفو قلوبهم ، وتنقى نفوسهم من أدران الحكم . فيسموا متحدين لخلق قوة شعبية تناصرهم في منع التدخل الأجنبي في شؤون أوطانهم . وهذه الأمور المعنوية هي السبب الذي أوقع البلاد الشرقية تحت الاستعمار الغربي ، وأوقع الملايو ضمنها . وملايا — كما عرفناها — قطر صغير مقسم إلى عدة أقسام يشرف على كل منها حاكم يلقب بالسلطان كان يحكم بلاده حكما إقطاعيا . وقد زال هذا الحكم بانتشار الوعي القومي بين الشعب الملايوي ، وبانتشار النفوذ البريطاني في مصالح الدولة

أوجد الاستعمار البريطاني في الملايو إصلاحا عمرانيا . فقد جيش الوطنيين في إصلاح الطرق وإنشاء الكباري . واستغل جهودهم في التعمير والبناء . فخطوط السكك الحديدية تقطع ملايا من شمالها إلى جنوبها ، ومن شرقها إلى غربها ، وغدت بعض بلدانها مراكز هامة للتجارة الدولية . وقد اشتهرت (سنغافورة) خلال القرن الرابع عشر بمركزها التجاري للشعوب القاطنة على سواحل المحيط الهادي والهندي . واستمرت شهرتها التجارية حتى الآن ، كما اشتهرت بمركزها الاستراتيجي . وفي سنغافورة جاليات أجنبية كثيرة من شعوب مختلفة . هاجرت إليها ابتغاء المعيشة . وفتحت بريطانيا أبوابها أمام شعوب العالم لتغدو مدينة تجارية حرة في الشرق الأقصى . ثم اشتهرت بعد سنغافورة (ملقا) في القرن السادس عشر ، وأصبحت مركزا تجاريا دوليا . وخشيت بريطانيا أن تنافس ملقا جزيرة سنغافورة من ناحيتها التجارية فأغلقت أبوابها أمام التجارة الدولية . وأمست ذات مركز تجاري ثانوي . . ولا نغمط الاستعمار فضله في إنشاء ملايا وتعميرها ؛ فقد كانت قبل الاستعمار الأوربي قطعة أرض لم تمسها يد الإصلاح . ولما دخلت في عهد الاستعمار الغربي أحالها إلى قطعة جميلة توفرت فيها وسائل الترفيه والكمال . وغدت مدنها الكبرى في مستوى البلدان الراقية في الشرق . ولم يعمل الحكم البريطاني على نشر الثقافة والتعليم بين الشعب الملايوي . ويعلم القارئ الكريم أن من مبادئ السياسة الاستعمارية الغربية في الشرق عدم نشر التعليم بين المستعمرين ؛ لأن العلم والاستعمار لا يتفقان . وأما التعليم الذي نشره الاستعمار البريطاني في ملايا فهو تعليم بسيط لفئة قليلة من الوطنيين لخدمة الحكم البريطاني في مصالح الدولة . وسنتكلم في نهاية البحث عن الثقافة في الملايو منذ بدأ الحكم البريطاني فيها . ومن مجهود الوطنيين في نشر التربية الوطنية والثقافة بين مواطنيهم

تنقسم ملايا طبيعيا إلى إحدى عشرة ولاية ومقاطعة، وهي:

١ — سنغافورة ٢ — ملقا ٣ — بيراك ٤ — سيلانجور ٥ — نجري سيبلان ٦ — فاهانج ٧ — كده ٨ — بيرليس ٩ — كلانتان ١٠ — ترنجانو ١١ — جوهور

وقد قسمتها الحكومة البريطانية إلى ثلاث وحدات سياسية، كل وحدة منها منفصلة من الأخرى تمام الانفصال . ولكل منها حكومة محلية يشرف عليها مستشار بريطاني يتصل بالمندوب السامي البريطاني . وهذا يتصل بوزارة المستعمرات البريطانية ، وهذه الوحدات هي :

١ — مستعمرات البوغاز (Straits Settlements) وتتكون من ثلاث مقاطعات هي : (١) سنغافوره (٢) فينانج (٣) ملقا وهذه المستعمرات ليس عليها سلطان وطني . لذلك اعتبرتها بريطانيا فيما بعد من ممتلكاتها فيما وراء البحار

ARCHIVE https://Archivebeta.Sakhrit.com

وهذه المستعمرات متقاربة فيما بينها ، والحركات التجارية فيها عظيمة ، ويمكن اعتبارها من البلدان التجارية الهامة في جنوب شرق آسيا ، وقد جعلها الاستعمار البريطاني مراكز دولية في الشرق الأقصى ، ففيها جاليات أجنبية كبيرة ، وفيها مؤسساتها الثقافية والاقتصادية ، والحياة فيها تقوم على شؤون التجارة الدولية

٢ — ولايات ملايا المتحدة (Federafde Malay States)
وتتشكل من أربع ولايات كبيرة هي : (١) بيراك (٢) سلانجور (٣) نجرى سيبلان (٤) فاهانج ، والرئيس الوطني لكل ولاية هو السلطان ، وفي عام ١٩٠٩ — أنشأت الحكومة البريطانية لهذه الولايات مجلساً اتحادياً (Federal Council) للإشراف على شؤون الولايات العليا ، ويرأسه المندوب السامي البريطاني ، وقد اختير أعضاؤه من سلاطين الولايات الأربعة المتحدة ، ومن كبار الأعيان فيها ، ومن البريطانيين والصينيين الذين ليسوا في خدمة الحكومة المحلية ، وقد أظهر سير الحياة في الملايو أن هذا المجلس ما هو إلا صورة خيالية أرادت به بريطانيا أن تظهر للملايويين مسايرتها للتطور الذي يحدث في ملايا

٣ — ولايات ملايا اللامتحدة (Unfederated Malay States)
وتتكون من أربع ولايات هي . (١) كده (٢) برليس (٣) كلانتان (٤) ترنجانو ، ولكل ولاية من هذه الولايات سلطان وطني عليها . ويذكر التاريخ الحديث أن ولايات (كده وكلانتان وترنجانو) كانت خاضعة لمملكة سيام البوذية ، وفي عام ١٩٠٩ عقدت بريطانيا وسيام اتفاقية بمقتضاها انضمت هذه الولايات الثلاث تحت علم الاتحاد البريطاني (Union Jack) وأمست خاضعة للحكم البريطاني ، وسميت بولايات ملايا اللامتحدة ، ثم في عام ١٩١٤ — انضمت ولاية (جوهور) إلى الولايات الملايوية اللا متحدة ، وقبلت مستشاراً بريطانياً لها ، وهذه الولاية في مقدمة الولايات الملايوية تقدماً وعمراناً

لنلق نظرة خاطفة على التقسيمات الإدارية التي أجرتها بريطانيا في ملايا لنستشف من ورائها ما تخبئه السياسة الاستعمارية البريطانية من غايتها تقسيم ملايا إلى ثلاث وحدات سياسية ، لكل منها أسلوبها الخاص في سياسة الحكم

إن سياسة فرق تسد لا تزال الحكومة البريطانية تتبعها في مستعمراتها ، فهذه التقسيمات الحكومية للملايا حاجز منيع أرادت به بريطانيا أن تضع ستاراً بين كل ولاية وأخرى يضعف العلاقات القومية بين كل منها . فتصبح الولاية غريبة عن الثانية . ليس هناك عامل قومي يربط بين سكانها، وأوجدت السياسة الاستعمارية البريطانية بجانب هذه التقسيمات الإدارية حصاراً شديداً على الملايويين منعهم عن مباشرة حقوقهم الشرعية في إنشاء المؤسسات السياسية والثقافية التي تهيئ الشعب لحياة الحرية والاستقلال، فمنذ بدأ الحكم البريطاني للملايو إلى أن وضعت الحرب العالمية الأخيرة أوزارها كان الاشتغال بالسياسة محرماً على الشعب الملايوي . ولما بدأ الاحتلال الياباني للملايو في فبراير عام ١٩٤٢ نفخ اليابانيون في أبواق الدعاية اليابانية (آسيا العظمى) و (الرخاء الآسيوي) فدب النشاط الفكري في المجتمعات الملايوية : وأقبل اليابانيون على تدريب الشبان الملايويين على الأعمال العسكرية : فشعر الملايويون بحياة جديدة أساسها التقشف والخضوع

لقد نهجت الحكومة البريطانية هذه السياسة في إدارة شؤون الملايو . وهي سياسة استعمارية بحتة تتنافى مع الحياة في عصر النور

كنا في ديسمبر عام ١٩٤١ والقوات اليابانية تكتسح القوات الاستعمارية في الشرق الأقصى وتطردها من هذه البقعة التي يسيطر عليها الاستعمار الأوربي منذ ثلاثة قرون . فالقوات اليابانية الصفراء تنتقل من نصر إلى نصر في معاركها ضد القوات المتحالفة في الباسفيك وفي جنوب شرق آسيا . وفي ٨ ديسمبر عام ١٩٤١ قذفت القوات اليابانية السائرة نحو جنوب آسيا أول قنبلة على (سنغافورة) ثم تابعت سيرها على الملايو لإقصاء القوات البريطانية منها . وفي ١٥ فبراير عام ١٩٤٢ وهو يوم تاريخي في حياة الاستعمار البريطاني في الشرق الأقصى عقدت وثيقة تسليم سنغافورة إلى القوات اليابانية حيث اجتمع الجنرال (Percival) مع الجنرال (Yamashita) الأول ممثل من

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الحكومة البريطانية : والثانى عن الحكومة اليابانية فى (Ford Factory) ووقعا على وثيقة تسليم ملايا إلى القوات اليابانية وغدت ملايا محتلة يابانية .

لقد دخلت ملايا فى عهد جديد من حياتها العامة . فالسلطات اليابانية المحتلة فرضت نظامها العسكرى على الشعب الملايوى . ذلك النظام الذى أحال الحياة فى الملايو إلى جحيم

ضمت الحكومة اليابانية الملايو إلى جزيرة سومطرة . وكونت منهما دائرة واحدة لها حكومة خاصة تحت إشراف قائد عسكرى . ولما صفيت الملايو من القوات البريطانية ، وانتشى اليابانيون بخمرة النصر ، وأصبحوا سادة الشرق الأقصى قدموا بعض الولايات الملايوية هدية إلى مملكة سيام البوذية جزاء للأعمال الجليلة التى قامت بها سيام نحو القوات اليابانية خلال زحفها إلى الملايو . فعندما كانت المعارك الطاحنة تدور بين القوات اليابانية والقوات البريطانية خلال الحرب الأخيرة فى الشرق الأقصى لم تجد القوات اليابانية منفذاً لها لاكتساح الملايو . فأفسحت سيام المجال أمامها بالدخول من أراضيها والتغلغل فى الأراضى الملايوية . وجزاء لهذه الخدمة الحربية التى قدمتها سيام لليابان سلمت الحكومة اليابانية ولايات (كده . برليس . كلانتان . ترنجانو) الملايوية إلى حكومة سيام لتستعمرها وتستعبد أهلها ...

دار الزمن دورته ، ودارت عجلات الحياة فى الملايو تحت احتلالها . فقد قامت بأعمال تتضاءل أمامها أعمال الشياطين ... وفى ١٠ أغسطس عام ١٩٤٥ ترنح ذلك القزم الشرقى الجبار تحت تأثير قنبلتين ذريتين ألقيتا عليه واستسلم للقوات المتحالفة . وهنا تتحرك السياسة الاستعمارية البريطانية لوضع نظام الحكم الجديد للملايو . ففى ١٥ سبتمبر عام ١٩٤٥ بسطت السلطة العسكرية البريطانية نفوذها على الملايو . وعاد الشعب الملايوى تحت الاستعمار البريطانى مرة ثانية ...

وهنا نتساءل لماذا خضع الشعب الملايوى للاستعمار البريطانى مرة ثانية ؟

هناك عدة أسباب هامة أجبرت الشعب الملايوى على قبول الأمر الواقع . بوقوع بلاده مرة ثانية تحت النفوذ البريطانى . وتتلخص هذه الأسباب فيما يلى :

١ — أن الجيش البريطانى قد بدأ يغزو الملايو قبل التسليم اليابانى ، وأنه تمكن من احتلال بعض مناطقها وفرض سلطته عليها

٢ — أن الشعب الملايوى فقير فى الرجال والقادة الذين يثبتون أمام الكوارث والخطوب . يقودون أمتهم لخوض غمار معارك التحرير ، ويقفون أمام المستعمرين بناضلونهم ويكافحونهم فى ميدان السياسة والاقتصاد .

٣ — أن الجيش اليابانى لم يترك سلاحه فى الملايو كما تركه فى بعض البلاد التى احتلها . فأصبح الشعب الملايوى أعزل من السلاح

٤ — أن فى الملايو أكثر من مليون صينى . وهؤلاء يكونون جبهة متحدة للمطالبة بسيادتهم على الملايو . وهم رجال تجارة وأعمال .

٥ — أن الشعب الملايوى تنقصه الدعاية الخارجية لعرض قضيته أمام العالم الحر ، وجذب عطف الشعوب المحبة للحرية إلى جانبه .

٦ — أن القيادة الداخلية للحركات التحريرية لم توسع نطاق أعمالها فى جميع أنحاء الملايو لكى ينصف الشعب الملايوى فى وطنه الذى لاقى الأمرين من الاستعمار الغربى ، وأن الدعاية الوطنية لم تنتشر الانتشار المطلوب بين الملايويين ليشعروا بواجباتهم الوطنية نحو وطنهم

فهذه الأسباب التى أمكننا استنتاجها من الحياة الملايوية هى بعض من أسباب كثيرة جعلت الشعب الملايوى يخضع للأمر الواقع

رسم الساسة البريطانيون القابعون فى مكاتب وزارة المستعمرات البريطانية بلندن السياسة الجديدة التى ستتبعها الحكومة البريطانية فى الملايو بعد أن تضع الحرب العالمية الثانية أوزارها . فأصدرت الحكومة البريطانية (الكتاب الأبيض)

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

وفيه المنهاج الجديد لنظام الحكم في الملايو . وفي أكتوبر عام ١٩٤٥ وصل السير هارولد مكميل من رجال وزارة المستعمرات البريطانية إلى الملايو . وقدم مذكرة إلى سلاطين ملايا ليوقعوها . وتنص هذه المذكرة بإقرار الموقعين عليها تسليم سلطتهم إلى ملك إنكلترا . . ثم في أول إبريل عام ١٩٤٦ ظهرت على مسرح الحياة في الملايو الحكومة الجديدة التي أوضحت في الكتاب الأبيض . وهي حكومة (ملايا المتحدة) (Malayan Union) شملت جميع الولايات والمقاطعات الملايوية وهي حكومة مركزية تولى رئاستها حاكم بريطاني هو السير ادوارد جنت . ويستمد سلطته من حكومة لندن . وبظهور هذه الحكومة توحدت أجزاء ملايا . وأصبح لملايا حكومة واحدة لا ثلاث حكومات كما كانت قبل الحرب العالمية الثانية ، وخسر سلاطين ملايا مركزهم المالي وهو سلطتهم .

أنشأت حكومة ملايا المتحدة مجلساً تنفيذيا وآخر تشريعيا يعاونان الحاكم البريطاني في إدارة شؤون الدولة . وانتخب أعضاؤهما من البريطانيين ذوي المراكز العالية في الحكومة الجديدة ومن ممثلي طبقات الشعب . وأنشأت أيضا مجلسا تنفيذيا لمقاطعة سنغافورة وآخر تشريعيا . وانتخب أعضاؤهما من اثنين وعشرين عضوا نصفهم ينتخبه الحاكم من أعضاء الحكومة البارزين، والنصف الآخر من ممثلي الأحزاب السياسية ويشترط فيهم أن يكونوا من رعايا بريطانيا ومولودين في المستعمرات الجديدة. وقدقامت حركات وطنية ضدالحاكم الجديد، وقامت الأحزاب السياسية بتنوير أذهان الشعب حول الحكم الجديد ومايخبئه لمستقبله. واتحدت كلمة الشعب الملايوي على رفض النظام الجديد الذي سلب كل حق كان يتمتع به سلاطينه .

مضى النظام الجديد في عمله مايقرب من عام واحد وهو يترنح تحت ضغط الشعور القومي الملايوي الذي ناصبه العداء منذمولده . وقدكان هذا النظام تجربة استعمارية لمعرفة مدى قبول الشعب الملايوي للاستعمار البريطاني في وضعه الجديد وقد باءت بالفشل . فالشعب الملايوي التف حول زعمائه لدفع الحكم الجديد الذي أظهر مناوأته للحياة الملايوية الجديدة الرامية إلى مقاومة الاستعمار وإزالته من ملايا. وفي أول فبراير عام ١٩٤٧ شيع الحكم الجديد إلى مقبرته. وظهر بعده حكم آخر أساسه الاتحاد . فقد استبدل الاستعمار البريطاني حكومة ملايا المتحدة بحكومة أخرى هي حكومة الاتحاد الملايوي (Federation of Malay) وضمت كافة الولايات الملايوية عدا مقاطعة سنغافورة . فإنها بقيت خارج الاتحاد . حيث أعتبرت تحت التاج البريطاني .

فما هو الجديد في الحكومة الجديدة ؟

لقد أعاد الحكم الجديد إلى سلاطين ملايا نفوذهم بعد ماسلبته الحكومة السابقة . وصاروا يتمتعون بسلطتهم كما كانوا قبل الحرب العالمية الأخيرة . وأفسح الحكم الجديد المجال لممثلي الشعب الملايوي بإيجاد مقاعد لهم في مجلس التنفيذ والتشريع الجديدين . وتولى بعض الوطنيين مناصب الوزارة . وإذا دققنا النظر في الحكومة الجديدة يظهر لنا أنها حكومة استعمارية ، فقد ترأسها حاكم بريطاني برتبة مندوب سام. واشترك الأجانب في التمثيل . فمجلسا التنفيذ والتشريع مكون من خمسة وسبعين عضوا منهم أربعة وعشرون عضوا من موظفي الحكومة ذوي المناصب العالية ، وتسعة وزراء ممثلون عن مجالس الولايات التي شكلت الحكومة الاتحادية وعضوان عن مقاطعة فينانج وملقا، وخمسون عضوا ، ، منهم اثنان وعشرون من الوطنيين ، وأربعة عشر من الصينيين وخمسة من الهنود وسبعة من الأوربيين ، وعضو واحد عن السيلانيين ، وعضو واحد أيضا عن المولدين

هذه هي تشكيلات الحكومة الجديدة ، وقد قبلها الشعب الملايوي مكرها . وخلال هذه التطورات السياسية في أنظمة الحكم نشطت الحركات القومية التحريرية في جميع أنحاء ملايا لمقاومة الاستعمار البريطاني في ثوبه الجديد

أنشأ الأحرار الوطنيون الأحزاب السياسية للسعي لاستقلال الملايو ، وهي أول خطوة سياسية فعالة في سبيل الاستقلال ، والأحزاب السياسية كالماء والهواء للشعوب المستعبدة لا تستطيع الاستغناء عنها فهي التي تكافح الاستعمار وتنشر الروح الوطنية وتلهب المشاعر والإحساسات القومية ، وتجعلها شعلة نارمتوقدة، وأهم الأحزاب السياسية الملايوية هي :

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

١ — حزب الاستقلال الملايوى ، ٢ — الهيئة الشعبية الملايوية المتحدة ، ٣ — حزب العمال، ولكل من هذه الأحزاب برامجها الخاصة في الكفاح والنضال لتحرير ملايا من الاستعمار ، وأقوى الأحزاب وأعظمها نفوذا هي (الهيئة الشعبية) فهي التي تقف أمام الحكومة الاستعمارية لتدافع عن حقوق الشعب المهضومة ، وتطالب الحكومة البريطانية باستقلال ملايو ، وتنتشر فروعها في جميع أنحاء ملايا ، ولها منظمات كثيرة للشبان فهم سواعدها في الكفاح والجهاد ، ويؤيد الطلبة الملايويون المنتشرون في الشرق الأوسط والأدنى الهيئة الشعبية في مطالبها الوطنيه وجهادها المقدس . وهؤلاء هم طلائع الدعاية الوطنية الملايويه في أنحاء الشرق . وقد بعثوا بمذكرات إلى الحكومة البريطانية يؤيدون فيها مطالب وطنهم ، ويطالبون الحكومة البريطانية بتسليم السلطة في ملايا إلى الوطنيين . وتدل الحياة اليوم في الملايو على نشاط الأحزاب السياسيه الملايوية في حركاتهـا التحررية ، وهو نشاط ينبئ بالنجاح في تحقيق الحرية والاستقلال لملايا. إن أمام الملايويين الاحرار مشاكل ومصاعب شتى تعترض سبلهم لتحقيق استقلال ملايا في زمن قصير ، وتتطلب هذه المشاكل رؤوسا مفكرة عاملة لحلها ، وقد أبرزت الحياة الملايوية الحديثة زعماء ومفكرين يعملون في الحقل الوطني ، وأنتجت أعمالهم شعور الطبقة المتعلمة من الشعب الملايوى بالواجبات الملقاة على عواتقها نحو وطنها . وتكونت منها دعامة قوية من دعائم الاستقلال ، تقوم عليها ملايا في بناء حياتها الحديثة . والبناء هو أول ماتطلبه ملايا — اليوم — في حياتها الجديدة ، وهو شامل لكل مناحي الحياة لشعب اعترض سبيله الاستعمار قرونا لكي ينهض ويسير في ركاب الحياة ، ونشر التعليم بكل وسائله المعروفة يؤدى إلى فتح آفاق واسعة من المعرفة بين جمهور الشعب، وقد كان الاستعمار خلال عهده الطويل في الملايو مبعدا الشعب الملايوى عن مناهل العلم ، فخلال الحكم البريطاني الطويل استمر ثلاثة قرون حتى أوائل الحرب العالمية الثانية لم تخرج المدارس الحكومية في الملايو مهندسا أو محاميا أو طبيبا . فما معنى ذلك ؟

لست أجيب القارئ عن هذا السؤال فهو أعلم بأسبابه منى

لقد قامت الهيئات التبشيرية والأوربية والأمريكية في الملايو بفتح المدارس والمعاهد ، كما قامت الهيئات والمنظمات الصينية أيضا بفتح المدارس لأبنائهـا . وأنشأ الملايويون في الأيام الأخيرة مدارس لتثقيف أبنائهم بالثقافة الوطنية التي ترتكز على حب الوطن وحب العلم والمعرفة . وفي الملايو اليوم مدارس ثانوية وعالية تابعة للحكومة المستعمرة وللجاليات الأجنبية وللوطنيين وأشهرها كلية السلطان إدريس للمعلمين، وكلية البنات الملايوية، ومدرسة الهندسة بكوالا لمفور ، ومدرسة الزراعة بسلانجور ، وكلية رافلس للمعلمين والإداريين. وكلية الطب ، وهاتان الكليتان هما نواة للجامعة الملايوية . هذه هي المدارس الثانوية والعالية في قطر يزيد عدد سكانه على خمسة ملايين نسمة ، نصفهم من الوطنيين ، والنصف الآخر من الأجانب . وفي البلدان الشرقية طلاب ملايويون منتسبون لمعاهدها العالية وجامعاتها ، وهم النواة الأولى للطلبة الملايويين الذين سيحملون مشاعل الحرية إلى وطنهم ليقيموا له حياته الجديدة على أساس العلم والمعرفة

محمد جنيدى

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

رفائيل
للأستاذ أحمد حسن الزيات بك
إحدى روائع القصص العالمي الواقعي
لشاعر فرنسا الخالد
* لامرتين *
ثمنها ٢٥ قرشا عدا أجرة البريد

اتجاه الأدب الحديث
إلى الطبيعة

للأستاذ أنيس المقدسي

الطبيعة

إذا كان الأدب القروي يعنى خاصة بحياة الفلاح والبيئة التي يعيش فيها فإن أدب الطبيعة يعنى بتصوير المشاهد الطبيعية والتعبير عما تثيره في نفس الإنسان . وليس وصف الطبيعة جديداً في الأدب العربي فقد عرفته جميع العصور الأدبية واشتهر به كثيرون من شعرائها

والوصف الطبيعي القديم وثيق الاتصال بالبيئة البدوية من قفار ورياح وأنواء ونبات وحيوان وما إلى ذلك . وهو عادة دقيق يميل إلى شرح الجزئيات؛ فإذا أراد الشاعر وصف حيوان كالناقة مثلا أو كالحمار الوحشي صور لك أعضاءه وألوانه وأوقفك على جميع حركاته وسكناته

ومن خصائص الوصف البدوي الصدق وعدم التصنع، فهو عموماً عرض واقعي لا يعمد إلى الزخرف اللفظي والتأنق الصناعي الذي نراه غالبا في عصور الحضارة . يرى الشاعر شيئاً فيعرضه كما هو بلغة قد نراها اليوم غريبة ولكنها جارية مع سجيته منبعثة عن طبيعة بيئته

وقد تطورت البيئة العربية بعد استقرار الملك العربي في الشام والعراق ومصر والأندلس فتطور معها الشعر الوصفي ، وهكذا انصرف عن الصحراء وأحوالها إلى الحواضر الجديدة وما تحويه من بساتين ومتنزهات وفواكه ورياحين ومجاري مياه وما إلى ذلك من ظواهر الحياة المدنية . ولا بد لنا هنا من التنبيه إلى فرق واضح بين أسلوب الوصف البدوي القديم وهذا الوصف الحضري المولد . ففي الأول كما ذكرنا آنفا يغلب الصدق والبساطة في التصوير . وأما الثاني فتبرز فيه الصناعة الفنية التي تتحرى إلباس الموصوف برداً قشيباً من الخيال . ولقد تمادى المولدون في حرصهم على ابتداع المعاني البيانية حتى طغت الصناعة عندهم على صدق العاطفة فأصبحت الطبيعة في كثير من الأحيان وسيلة لإظهار براعتهم الفنية ومقدرتهم على التوليد

على أننا إذا أمعنا النظر في وصف القدماء عموماً للطبيعة وقابلناه بما استجد في أدبنا الحديث من ذلك وجدنا من الفرق بينهما ما لا نجده بين الشعر القديم أو الجاهلي والشعر المولد في العهد العباسي والأندلسي . فالطبيعة في الشعر القديم لم تتخذ موضوعاً خاصا وإنما كان الشعر يعرض لها في سياق غرض آخر كالغزل أو المديح أو الفخر ، وكان يكتفي بأشكالها الخارجية لا يتجاوز الأفق الحسي الشاهد إلى ما هو أبعد وأعمق . وبكلمة أخرى لم ير في الظواهر الطبيعية ما يحمله على التأمل العميق وما يوحي إليه المعاني الخالدة والأفكار السامية، ولم يتغير الموقف في الشعر المولد تغيراً يصح أن يسمى اتجاها عاما ، فظلت الطبيعة عند المولدين وسيلة لا غاية ومعرضاً لمشاهد جميلة لا مصدراً لإيحاءات روحية . أما الأدب الحديث فلم يقف عند حد المشاهد التي تبهج النفس بل اتجه اتجاها عاما إلى ما للطبيعة من وجود معنوي يلذ للخيال الجولان فيه ويروق للفكر أن يسمو إليه

ولهذا النظر الحديث إلى الطبيعة خصائص نحاول شرحها فيما يلي :

قد يقال إن الوصف الحديث للطبيعة يمتاز بملاحظة ما لا يؤبه له عادة كانحناء السنبلة وتفتح البراعم وتبعثر أوراق الخريف وربوض البقرة تحت الشجرة واختباء الفراخ تحت جناحي أمها وتجاوب الأجراس في الوادي ولون العشب الذاوي وغير ذلك من مشاهد طبيعية متواضعة ، وأنه يرتاح إلى الطبيعة الساذجة (البرية) دون المصطنعة المنمقة . فهو يؤثر الغاب على البستان ، وشواهق الصخور على أسوار الحصون ، وبحيرات الجبال على برك القصور . ورمال الشواطئ والصحارى على الساحات المعبدة في المدن أو النوادي ، والمجاري الطبيعية المتدفقة بين السهول والهضاب على الترع المحفورة لري الحقول والمزارع . بل إنه ليرى روعة خلابة في ما كان يهول القدماء كصخب العواصف وطغيان السيول وانقضاض الشلالات وقصف الرعود وتجهم الفدافد ووحشة الدياجي وتلاطم اللجج وما أشبه . وفي هذا القول شيء كثير من الصحة، على أن ذلك عند التحقيق ليس

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الفارق الرئيسي الذي يميز أدب الطبيعة في هذا العصر عنه في العصور السالفة، وإنما يميزه ما تقدمت الإشارة إليه من أن الأدب الحديث ينظر إلى الطبيعة نظراً معنويا يتجاوز أفق المشاهدات

ومما لا شك فيه أن التصور المعنوي الذي تثيره المشاهد الطبيعية هو أقوى وأعم في أدبنا الحديث منه في أي عصر من عصورنا الماضية . ولهذا التصور أو النظر المعنوي نزعات نجملها في النزعتين التاليتين :

النزعة الحيوية :

وهي اعتبار الطبيعة ذات حياة وروح يمكن مخاطبتها ومناجاتها ومبادلتها الأفكار والعواطف

وليس من الصواب القول أن الأدب القديم خلو من مثل هذا النظر أو الشعور . فقد طالما وقف القدماء على الطلول فبثوا لها أشواقهم وسألوها عن أحبابهم، وإنما فعلوا ذلك في الأغلب تمهيداً لبعض أغراضهم وجريا على اتباع السنة الشعرية التي كانت تقتضي الابتداء بالغزل . ومنهم من أنطق الطبيعة ونسب إليها التأمل والتفكير كما فعل ابن خفاجة الأندلسي في قصيدة يصف جبلا فيقول فيه :

وقور على ظهر الفلاة كأنه   طوال الليالي مفكر في العواقب

على أننا نعيد القول أن ما نجده من ذلك فيما مضى لم يبلغ أن يكون اتجاها عاما أو بابا مستقلا يلجه الأدباء ليتصلوا بالطبيعة فيسجدوا في هيكلها ويحملوا إلينا منه ما توحيه من جمالها وأسرارها ، أو على الأقل لم يبلغوا في هذا السبيل شأن زملائهم في القرن العشرين

إن الطبيعة في الأدب الحديث « حيوية » عاقلة يحس بضربات فؤادها ويسمع رخيم إنشادها ويلذ له التحدث إلى أنهارها وغاباتها وجبالها ووهادها . ويمثل لك ذلك جبران جبران إذ يقف أمام « الأرض » مقابلا محاسنها بقبائح الإنسان فيقول « ما أجملك أيتها الأرض وما أبهاك . ما أتم امتثالك للنور وأنبل خضوعك للشمس . ما أظرفك متشحة بالظل وما أملح وجهك مقنعا بالدجى ، ما أكرمك أيتها الأرض وما أطول أناتك ! نحن نضج وأنت تضحكين . نحن نذنب وأنت تكفرين . نحن نجدف وأنت تباركين . نحن ننجس وأنت تقدسين . نحن نكلم صدرك بالسيوف والرماح وأنت تغمرين كلا منا بالزيت والبلسم . نحن نستودعك الجيف وأنت تملأين بيادرنا بالأغمار ومعاصرنا بالعناقيد . نحن نتناول عناصرك لنصنع منها المدافع والقذائف وأنت تتناولين عناصرنا وتكونين منها الورود والزنابق ! »

واشكر الله الجر قصيدة في شلال في البرازيل يدعى « تيجوكا » وهي أيضاً من باب الوصف التأملي الذي تشعر فيه بحيوية الطبيعة . ومن أدوارها :

هلت بمائك عيني وعدت فأبصرت ما الناس لا تبصر
فبالله قل لي إلام تظل كذلك تجتاحك الأعصر
وأنت تكر كرور الزمان   فلا تستقر ولا تفتر
وهذا الوجود كما كان قبل شعوب تجيء وأخرى تروح
ودنيا تضج بسكانها   فهذا يغني وهـذا ينوح
وذلك مستسلم للقـدر

وكثيرة هي وقفات الأدب الحديث على الطبيعة اللاحية من جبال وأودية وأنهار وبحار ونجوم ورياح وبحار حتى ليتعذر حصرها

وكما شغف الأدب الحديث بالطبيعة اللاحية فأحياها وجعلها ذات شعور وإدراك ، ونظر مستوحيا منها الأفكار والخواطر والعبر ، شغف أيضاً بالطبيعة الحية من نبات وحيوان فجعلها موضعاً لتخيلاته وتأملاته ، ووسيلة للتحدث عما يتجلى له في حياته

ففي عالم النبات مثلا يقص علينا جبران جبران حديث البنفسجة التي كانت تطمع أن تكون وردة

وممن استخلص من البنفسجة موضوعاً إنسانيا خليل شيبوب إذ وصف جمالها وتواضعها فقال

قد التحفت أوراقها وتطامنت   على نفسها في رقة وتواضع
مكحلة الأجفان يقضي حياؤها   عليها بإغضاء اللحاظ الخواشع
وهل كبرياء الدوح تعدل نظرة   المعومة في ثوبها المتواضع

وفي غابة من غابات البرازيل مر الشاعر القروي مرة فيرى دوحة عظيمة قد طرحتها على الأرض يد الإنسان فيحدثنا حديث

تلك « الدوحة الساقطة » وشكواها من جور الإنسان . وفي هذا الحديث تذكرنا الشجرة شيئاً عن حياتها ونشأتها وكيف نمت حتى أصبحت كثيرة الأغصان وارفة الظلال تأوي إليها الطيور ويقصد ظلالها طلاب الراحة . ثم نصف عالم النبات وأنه هو موطن المساواة والخير، لا عالم الإنسان الموبوء بالطمع والفساد، القائم على التعدي والتدمير . وبعد أن تنعى نفسها إلى أشجار الغاب يتناول الشاعر الحديث مستطرداً إلى وصف الدوحات البشرية (أي النوابغ) وما يصيبهم بين الناس من هوان وعناء .

ومن الشعر التأملي المستوحى من عالم النبات قصيدة « الورقة المرتعشة » لرشيد أيوب .. يرى الشاعر ورقة من أوراق الخريف فتثير فيه — وقد دنت شمسه المغيب — خواطر وذكريات ويخاطبها بقوله :

أبنت الربيع استريحي غداً ... فــكل الهناء لمن لا يعي
قضيت الربيع وكل الحيا ... ة زمان الربيع فلا تجزعي
فماذا أقول أنا في الشتاء ... وصوت العواصف في مسمعي
أبيت الليالي أرعى النجوم ... وإن نمت نامت همومي معي

* * *

والشعر الحديث المستوحى من الطبيعة النباتية شعر كثير ومثله المستوحى من الطبيعة الحيوانية عالم الطيور والحشرات وحيوانات البر والبحر . وإليك منه بعض الأمثلة :

ينظر الشاعر المصري محمود حسن إسماعيل إلى الغراب وهو واقف على غصن شجرة من أشجار النخيل ، فيتصوره «راهباً» كبير السن واسع الاختبار وعوضاً عن أن يتطير منه كما يفعلون عادة يتلطف في الاقتراب إليه ثم يلقي عليه أسئلة عما لم يستطع فهمه من أسرار الحياة راجياً منه أن يجلو له أسرارها ويكشف أستارها . وهــذه الأسئلة ليست في الحقيقة إلا ما يساور نفس السائل لدى تأمله في حياة الناس وأحوالهم . وقد اتخذ الغراب وسيلة للتحدث عنها والتعبير عن رأيه فيها

وفي الخريف يرى إيليا أبو ماضي فراشة وقد دنا أجلها فيجعلها موضوعاً لقصيدته « الفراشة المحتضرة » ومن هذه القصيدة قوله مخاطباً تلك الفراشة :

فالزهر في الحقل أشلاء مبعثرة ... والطير — لا طائر إلا جناحاك

يا روضة في سماء الأرض طائرة ... وطائراً كالأقاحي ذا شذاً زاك
مضى مع الصيف عهد كنت لاهية ... على بساط من الأحلام ضحاك
تمسين عند مجاري الماء باسمة ... والأزاهر والأعشاب مضحاك
يا نغمة تتلاشى كلما بعدت ... إن غبت عن مسمعي ما غاب معناك

ويسمع أحمد رامي طائراً يغرد تغريداً شجيا وهو يتنقل من غصن إلى غصن فيغبطه لأنه بعيد عن الناس ويقول له :

واصدح فصوتك في الفؤاد صدى ... للغابر المدفون من زمني
لك أنة في الليــــل خافتة ... تسري إلى قلبي بلا أذن
هبني جنــاحك كي أطير به ... وأحط فوق شواهق القنن
وأطل فوق الكون مبتهجاً ... بجماله المتنــاثر الحسن

ومن هــذا القبيل موشح للشاعر العراقي محمود الحبوبي استوحاه من تغريد طائر على شجرة فحداه ذلك إلى وصف الحياة والناس ، متمنيا لو كان للبشر نصيب من حياة الطائر الرحة الوديعة لعلهم يرجعون إلى صوابهم وينبذون ما أفسد عليهم سعادتهم

ولو أردنا أن نعدد الأمثلة على الطبيعة الحية من أثر في أدبنا الحديث لطال بنا سفر الكلام

النزعة التاريخية :

ولم يكتف أدباء هذا العهد بمناجاة الطبيعة وبثها مايشعرون به ، بل كثيراً ما تراهم ينظرون من خلالها إلى التاريخ حيث يتجلى لهم جلال القدم وحوادث الزمان . والذي يلاحظ أن هذه النزعة تكاد تكون مفقودة في أدبنا الماضي . ومن أمثلتها قصيدة أحمد شوقي « أيها النيل » ومطلعها :

من أي عهد في القرى تتدفق ... وبأي كف في المدائن تغدق
ومن السماء نزلت أم فجرت من ... عليا الجنان جداولا تترقرق

وفي هذه الوقفة التاريخية يصف النيل مسهباً ذاكراً ما قام على ضفافه من ممالك وأديان، ومن مشى عليها من أنبياء وفاتحين، وأنه كان مهد الحضارة والعلم وموئل الحكمة ومصدر النور

ومن الأنهار الشرقية الموحية للذكريات التاريخية : الفرات ودجلة والأردن والعاصي وبردى واليرموك ونهر الكلب قرب بيروت وسواها . ومن البحيرات طبريا والبحر الميت

ولا تقتصر الوقفات التاريخية على الأنهار والبحيرات ، بل تتناول أيضاً الجبال والأودية كجبل الشيخ والكرمل وطورسينا ووادي موسى وسواها

وكما يتأثر الأدب الحديث بالطبيعة الشرقية يتأثر بالطبيعة الغربية . وقد نشر الشاعر محمد عبد الغني كلمة في مجلة الرسالة موضوعها «شعراء الشرق والطبيعة الغربية» ذكر فيها أن كثيراً من شعراء الشرق الذين عرفوا البلدان الغربية تغنوا بمحاسن الطبيعة هناك ومنهم إيليا أبو ماضي وميخائيل نعيمه وشكر الله الجر وبشر فارس والشاعر القروي ونخري أبو السعود وأشار إلى بعض قصائد له نشرت في مجلة المقتطف سنة ١٩٣٥ ، وإننا نضيف إلى ما ذكر الوقفتين التاليتين : «على نهر التامس» في لندن و «على نهر السين» في باريس

وفي أدب المهاجرين وغير المهاجرين أقوال كثيرة من هذا القبيل

أنيس المقدسي

طبيعة الحج في الاسلام

للأستاذ محمد فياض

« مهداة إلى الأستاذ الكبير سيد قطب »

الحج في إسلاميته الخالصة ، ركن عبادي حين يتصل بالله في مناسكه وشعائره ، وأقواله وأفعاله ؛ وأساس اجتماعي حين يتجه بالمجموعة الإسلامية ، في مؤتمره السنوي العام ، إلى التنظيم والتعارف ، وإلى توحيد القوى الفردية والجماعية ، والتوجه بها شطر قبلة واحدة : عن صاحبها صدر الخلق ووجدت الحياة ، وإليه تتجه حياتنا كلها ، بما فيها من نشاط واتجاه وأهداف

وبهذه الصورة الإسلامية للحج ، تتحدد وتتأصر ، ضمن ماتتحدد به وتتأصر في الإسلام علاقة الفرد بالجماعة ، وعلاقة الجماعة بالفرد ، وعلاقة كليهما بالله الذي منحهما الوجود والحياة . علاقة لا يختلف فيها باطن مع مظهر ، ولا كيف مع مقدار ، ومن أجل هذه العلاقات ، تقوم دعائم الحج في الإسلام ، منسقة منسجمة : في استعراض عام ، حيث يشهد الله مالك الكون ، وفي توجيه عملي حار ، يرشد الفرد ويوجه الجماعة ، إلى حقيقة العلاقة بينهما ، وإلى حقيقتها بعد مع الله ، وفي وحدة عامة ، تصل السماء بالأرض ، والإنسانية بالكون ، والعباد بالله :

والحجاز من وجهة النظر إليه ، كرقعة تؤدي على ثراها شعائر الحج ، ماموقف الإسلام منه ؟ إنه ميدان الاستعراض العام ، وقاعة المؤتمر السنوي ، ومحراب التوجيه الوجداني ، ومدرسة التربية الاجتماعية . إنه الأرض التي انبثق منها روح الاسلام الأول وبقيت على أرضه « الكعبة » قبلة للانسانية الراشدة ، ورمزية محسوسة بين العباد والرب ، ومنارة معنوية للاسلام في الأرض . إنه معسكر التدريب الذي يعود منه رائده ، وفي قلبه حرارة وانفعال ، وأمامه ثلة من المشاعر والأحاسيس ، بها علبه شحنات من التجاوب : على نهجها يسير ، وعلى أضوائها يهتدي ، في فيافي الحياة ، المضللة المعقدة المختلطة المتشابكة حين يعود ؛ إنه كل ذلك وأكثر منه ! فما فكرة الاسلام منه[1] ؟ لا : بل ماالقواعد الكلية التي تركها فكرة الإسلام ، لتحدد طبيعة الحج ، وتركن عليها أهدافه ؟ بل ما الوسائل التي تقر هذه الطبيعة ، وتلك القواعد ، وتحفظ لها وجودهـا وكيانها ، حيا ، منتجاً ، محقق الأهداف ، يلمسه الناس ويؤمنون بجدواه ؟

تبدأ النظرة الإسلامية إلى الحج أول ماتبدأ ، بتقرير القاعدة الكلية الأولى ، في النقطة الرمزية المحسوسة التي يتوقف عليها اتصال الناس بالله ، ووحدة الاتجاه الإنساني ، فتقرر هذه القاعدة أن البيت الحرام هو الملك المختار لله في الأرض ، والمقصود لتوحيد الاتجاه : لاشبر فيه ولا فتر لمخلوق ، ولا سلطان لأحد عليه سوى سلطان الله وأحكامه ، لأنه حلقة الاتصال بين الناس والله . ومن الصالح الإنساني أن يكون كذلك ، مادام قد قدر له ذلك الشرف الإلهي الخاص « وعهدنا إلى إبراهيم وإسماعيل أن طهرا بيتي للطائفين والعاكفين والركع السجود » : نعم ،

(١) هنا موضوع آخر : نرجو أن نوفق للكتابة فيه بعد استكمال خيوطه

بهذه الإضافة بين الياء والبيت ؛ تقررت هـــذه الملكية ، وهذه القاعدة

وحين تتأكد فى عقولنا هذه الأولى ، فإن هناك قاعدة كلية ثانية تقرر أن البيت ، أو المسجد الحرام ، بل الحرم الأرضى الإلهى كله آمن بطبيعة الخلق التى أوجده الله عليها ، آمن بطبيعة التشريع الإلهى للحج ، آمن لا يجب أن يخشى فيه مسلم شيئا ، أو يخاف كائنا سـوى الله ، آمن يلجأ إليه أيضا من يضطهد فى دينه من سائر البقاع ، أومن يظلم فى نفسه أو عرضه أو ماله أو أهله ، لو شاء ؛ بل لقد أمن ذلك الحرم المقدس فى أعرق عهود الجاهلية ، وأشدها فتنا ووحشية ، بل لقد أمنت حتى الحيوانات والطيور فى ذلك الحرم الإلهى من اعتداء الناس ، « وإذ جعلنا البيت مثابة للناس وأمنا » ، « ومن دخله كان آمنا » ، « أولم يروا أنا جعلنا حرما آمنا ويتخطف الناس من حولهم » ، « لا تقتلوا الصيد وأنتم حرم » ، « وحرم عليكم صيد البر مادمتم حرما »

وإذا ماقرت فى الأذهان هاتان القاعدتان ، فنحن فى حل ، لنأخذ بالقاعدة الكلية الثالثة التى تحـدد علاقة المسلمين بالمسجد الحرام ، وتكشف عن سر وجوده ، فتنص على أن هذا البيت ، قد جعله الله ليكون بيتا للجميع من المسلمين ، يرجعون إليه رجوع الزائر القاصد لا المالك ، لتستقر فى أذهانهم وفى قلوبهم ، وتسيطر على أرواحهم ونفوسهم اتجاهات الإسلام ، وعلاقاته وأهدافه ، ثم ليعقلوا جيدا ، معنى الوحدة الإسلامية ، ومعنى الاتجاه إلى البيت كقبلة ، وكرمز معنوى محسوس « وإذ جعلنا البيت مثابة للناس » « إن أول بيت وضع للناس للذى ببكة »

وحين تتقرر هذه الأخرى فى عقائدنا ، ضمن ما نحسبه من اتجاهاتنا وأهدافنا ، فإن هناك قاعدة كلية رابعة بهـا تتقرر المساواة التامة بين سائر الأفراد والجماعات ، أحمرهم وأصفرهم ، وأبيضهم وأسـودهم ، ساميهم وآريهم ، لا فرق ، لا فرق بين فقير وغنى ، وحتى بين عبقرى وعادى ... مادامت تجمعهم كلمة الاسلام . ولـكن أية مساواة ؟ إنها المساواة الـكلية المطلقة ، لا مساواة الصلاة الجزئية المحدودة ، إنها مساواة الوحدة العامة ، مساواة مندوبى العالم ، لمن شاء أن يكون مندوبا لقومه وجماعته ونفسه ، دون أفضلية أو اختيار ، إنها مساواة التجمع حول عين الله فى التوجه والاستهداء ، واستشفاف النفس ، لمعانى الملاقات الفردية والجماعية والإلهية ، من مظاهر الحج وشعائره بمـا فيها من مظاهر وجموع ، كل نفس بما تقدر ، وعلى حد مايستطيع بذله من أفهام ونظرات . إنها أيضا المساواة التى لا تفضل دولة على دولة ، ولا أسرة على أسرة ، ولا لونا على لون ، ولا فردا على فرد ، بالقرب أو بالبعد « إن أول بيت وضع للناس للذى ببكة مباركا وهدى للعالمين » « والمسجد الحرام الذى جعلناه للناس سواء العاكف فيه والباد »

وبعد أن يفهم الناس هذه القواعد الأربع عن الحرم ، وعن ملكيته ، وعن حكمة وجوده ؛ وبعد أن تسـتقر فى الأذهان ، وتطمئن إليها الوجدانات والعواطف .. بعد ذلك كله تلوح فى أفق فكرة الإسلام القاعدة الخامسة التى من أجلها وجدت القواعد الأربعة السـالفة ، حتى لا يكون وجودها عبثا ضائع الهدف بدون هذه القواعد الأربع الكلية . تلوح هذه القـاعدة كالسقف مستندة على أربعة أركان لتقرر أن النـاس جميعا مفروض عليهم واحدا واحدا الحج إلى قبلته التى يتوجه إليها ؛ حجة محسوسة ملموسة ، منتقلة متحركة ؛ مرة فى عمره — فمن شاء أن يستزيد فهذا موكول لحريته الذاتية — ما دام قد اعتنق شرعة الإسلام . الناس جميعا ، بلا تفريق ولا تمييز ، ولا تفضيل ولا اختيار بين واحد وواحد ، وجماعة وجماعة ، فى اللون أو المكان ، فى القرب أو البعد ، فى الزمان أو المـكان ؛ الناس جميعا مفروض عليهم الحج ، واحدا واحـدا ، ما دام مسلما ، وما دام قادرا على إحداثها فى عالم الواقع ، قادرا على تحمل نفقـات الحج وتبعاته . « ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا » وإلا ، ف« لا يكلف الله نفسا إلا وسعها »

ومن هذه القواعد الكلية تتبين طبيعة الحج فى الإسلام ، وتتركز تلك الطبيعة هناك ، فى الحرم الإلهى المقدس ، حيث لا تكاليف على الحاج ، ولا شواغل سوى عبادة الله . . بالإيمان والصلوات ، والقربات والحج ؛ وسوى الاستغراق فى الاتصال بينه وبين الله ؛ وسوى التسامى بالروح والأشواق ، والانفعـالات والوجدانات ، المتطلعة إلى السماء ؛ وسوى التطهر جهد الطاقة من النزعات الجسدية والمادية اللاصقة بالأرض ... هنـاك فى ذلك

الفردوس الروحى فى عالم من التحرر الوجدانى ؛ تتركز طبيعة الحج فى الإسلام ، فى . وحدة الاتجاه الفردى والجاعى .. إلى الله صاحب القبلة والبيت ، والمسجد والحرم ؛ وفى وحدة المساواة الكاملة المطلقة ، المتجردة بين سائر أفراد المسلمين . من أى لون ، ومن أى شعب ، وعلى أى درجة من الوعى والاستعداد والعلم

وعلى هاتين الوحدتين تتحدد وتتآصر علاقة الفرد بالجماعة وبالعكس ، وعلاقة (٢) كليهما بالله ، ضمن ما تتحدد به وتتآصر فى قواعد الإسلام ؛ ولكن هذا التحديد وذلك التآصر ؛ يبدو فى طبيعة الحج عمليا ، على أرحب مايقدمه ركن إسلامى ، وعلى أكل ما يشمله من أفراد ؛ بل إنه الركن الوحيد الذى يجمع مسلمى العالم فى مندوبيهم ، فى ساحة واحدة ، ليلقنهم درسا واحدا ، هو المقصود من الحج ، هو الوحدة ، وحدة الاتجاه ، ووحدة المساواة . وبهذا وحده تقوم وحدة العالم الإسلامى ، متسقة الأفراد ، منسجمة الشعوب والجماعات ، محفوظة من الأحداث ، والتقلبات ، والخلوف ، متجهة فى وحدة ، وفى مساواة ، إلى الله صاحب الكون ، وواهب الحياة

ولكن هل تعيش تلك القواعد الكلية وحدها ؟ هل تحفظ طبيعة الحج ، حية منتجة ، محققة الأهداف ، دون وسائل وأسباب ، تحفظ عليها كيانها المقصود ؟ اللهم لا ، إنها وحدها لا تعيش !!

ومرة أخرى ؛ تتقدم الفكرة الإسلامية ، بالوسائل التى تقر فريضة الحج ، ثابتة لا يعتريها تفكك أو تخلخل ؛ تتقدم بما يحافظ على طبيعة الحج ، حية ، منتجة محققة الأهداف ؛ تتقدم بما يقى هذه الفريضة وتلك القواعد وهذه الطبيعة ، شرور الفساد والنقص والاضطراب ؛ تتقدم الفكرة بنفسها ، ثم . بوسائلها ثانية ، لتهدم مظاهر الفساد ومنابع الظلم التى يخشى منها عادة على فريضة الحج وقواعده وطبيعته ؛ وهذه المصادر ، وتلك المنابع ؛ تكمن عادة ، فى الاستبداد من فرد ظالم ، أو جماعة ضالة ، أو فرد متمرد ؛ وتكمن فى الاستغلال الاقتصادى ، المقصور على فرد أو أفراد ، وتكمن فى أخطار التاريخ وتقلبات الزمن ، من دولة قريبة أو بعيدة ، أو من مبدأ مناهض يغاير

(٢) سوف نتحدث فى فترة أخرى عن «طبيعة العلاقات فى الإسلام»

طبيعة الإسلام ، فى كثير أو قليل ؛ وتكمن أخيراً فى التعطيل بواحد من هذه الثلاثة ، أو بعضها ، أو كلها مجتمعة ، لمظهر من مظاهر الحج ، أو جزء من كيانه ، أو تقليد من تقاليده ، أو سبيل من سبله ، أو تيسير من تيسيراته

... تتقدم الفكرة بنفسها أولا ، ثم بوسائلها ثانية ، على طريقتها المتميزة ، فى أى حقل من حقولها ، فى مخاطبة ، العقل أو العاطفة ، والضمير أو خارجه ، والفرد أو جماعته ، والسلوك أو العمل ، بالتوجيه تارة ، والتشريع أخرى ، وقد تزاوج بينهما ، ومن مصدرين متجاورين : الكتاب والسنة ...

... فتتقدم الفكرة بنفسها ، وتقيم ما يشبه القاعدة ، أو قل قاعدة مساعدة ، أو وسيلة كلية جامعة ؛ لتقاوم بطريقتها المتميزة التعطيل أياً كان مصدره ؛ فتقرر أن المعطل ، كافر ، كافر بنص القرآن « إن الذين كفروا ويصدون عن سبيل الله والمسجد الحرام .. » بل إنها لتعتبره إلى جوار ما بهذه الآية من صراحة ومخاطبة بالتوجيه وبالتشريع — ملحداً ، « ومن يرد فيه بإلحاد بظلم نذقه من عذاب أليم » ، وبنفس ما بسابقتها من صراحة ومخاطبة قد سيقت هى الأخرى ، مع زائدة ثالثة ، هى فى تلك الشاعية المطلقة ، فى تنكير كلة الظلم فيها ؛ تلك الشاعية التى دفعت بعض المفسدين ليقولوا المعصية فى الحرم سيئة مضاعفة . مع أن الحقيقة أن هناك حد من السنة ، يفسر نوع الظلم فى الحرم بأنه الاستغلال ، كما سيأتى بعد سطور. وإن كنا نرى أن هذا التشريع المفسر لا يمنع مطلقا من شمول الظلم فى الآية لسائر مصادر التعطيل من المسجد الحرام، خاصة وفى الآية هذه الشاعية ، المتكئة فى تحديدها على آية ثالثة « ومن أظلم ممن منع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه وسعى فى خرابها ؛ أولئك ما كان لهم أن يدخلوها إلا خائفين ؛ لهم فى الدنيا خزى » هكذا بلفظة المنع وتعبير فنى ، «وسعى فى خرابها »

ثم تتقدم الفكرة الإسلامية بوسائلها ثانية ؛ .. لتقيم الحواجز والسدود .. فتتقدم وسيلة أولى ، مساعدة للوسيلة الكلية الجامعة ، وتقوم عليها الوسائل اللاحقة ؛ بها تقرر الفكرة وتفرض على الناس ؛ وجوب تطهير بيت الله « وعهدنا

إلى إبراهيم وإسماعيل أن طهرا بيتي للطائفين والعاكفين والركع السجود » في غير موضع من القرآن . . وبدهي أن الأمر بالتطهير ليس مقصورا على المأمورين وحدهما ، ولا موقوفا عليهما دون غيرهما من الناس ؛ وبدهي أيضا أن التطهير في مثل هذا المقام ، لا يقصد منه سوى إزالة جميع مصادر التعطيل ، في الحرم كانت ، أو فيما يؤدي إليه « وأذن في الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر ، يأتين من كل فج عميق »

وتأتي الفكرة بالوسيلة الثانية لتقر الحرم في أمانه وعلى طبيعته ، بعيدا عن المعطلات .. عن طريق التوجيه تارة ... التوجيه الحار المجرد الذي يتسلل إلى ما وراء منافذ الشعور ، فتقرر أن الحرام حرام ، بحرمة من الله لا من إنسان « إن مكة حرام ، حرمها الله .. ولم يحرمها الناس » ثم من طريق التشريع العملي أخرى ، بأربعة أسباب :

السبب الأول : أن أرض مكة ، وهي قطب الرحى ، ومركز الدائرة في الحج ، أرض مشاعة الملكية للمسلمين جميعا ، لأنها ملك الله ، مباحة لكل قاصد وكل مقيم ، لا ملك فيها لإنسان بعينه، فلا بيع ولا إيجار. روى الدار قطني عن علقمة بن فضلة «توفى رسول الله، وما تدعى رباع مكة إلا السوائب، من احتاج سكن، ومن استغنى أسكن » وفي رواية «ولا تباع» وروى من ابن عمر «إن الله حرم مكة ، فحرام بيع رباعها وأكل ثمنها » « من أكل من أجر بيوت مكة شيئا ، فإنما يأكل نارا » « مكة مناخ ، لا تباع رباعها ، ولا تؤاجر بيوتها » .. كما أن عمر بن الخطاب نهى أن يغلق بمكة باب دون الحاج ، فإنهم ينزلون كل موضع رأوه فارغا ، كما أن عمر بن عبد العزيز عهد إلى أمير مكة أن لا يدع أهل مكة يأخذون على بيوت مكة أجرا ، فإنه لا يحل لهم ، وكانوا يأخذون ذلك خفية ومسارة

السبب الثاني : تحريم الاستغلال ، من الاحتكار ، ومايشبه الاحتكار .. من تجارة السوق السوداء ، والتلاعب بالسوق التجارية ... « احتكار الطعام في الحرم ؛ إلحاد فيه » يقول القرطبي : والعموم يأتي على هذا كله

السبب الثالث : ترك الجاهلية الضخمة التي أبقى عليها الإسلام وورثها ، في ذلك التقليد الرائع المشهور ، في نظام السقاية والرفادة ، والأولى معناها إسقاء الحجيج كلهم ، الماء العذب .. « مجانا » بدون مقابل . أما الثانية ، فإطعام من لم يكن له سعة في العيش أو لا زاد معه من الحجاج .. مجانا أيضا وبدون إدانة ؛ هذا النظام التيسيري بجانب مكافحة مصادر التعطيل قد عمل به الرسول ، وعمل به الخلفاء الراشدون.. ثم انقطع أو كاد . حين نفشت الخلوف ، ولا ندري .. متى ؟

ثم ، تتقدم الفكرة بالوسيلة الثالثة ، لتقاوم أخطار التقلبات التاريخية ، من دولة قريبة أو بعيدة . وتمنع تيارات المبادئ المناهضة ، المغايرة للإسلام في قليل أو كثير ، سماوية مضت ، أو أرضية حدثت ، فيوصى الرسول في لحظاته الأخيرة وصية تقي فريضة الحج، وشرور هذه الأخطار وتلك التيارات، بل إنها لتكاد تحدد أيضا مكانة الحجاز جميعه، من العالم الإسلامي والعوالم المناهضة: « لا يترك بجزيرة العرب دينان » « أخرجوا يهود أهل الحجاز، ونصارى نجران ، من جزيرة العرب » « أخرجوا المشركين من جزيرة العرب » ؛ كل هذه الأوامر قد كانت امتدادا لعزم الرسول « لأخرجن اليهود والنصارى من جزيرة العرب ، حتى لا أدع فيها إلا مسلما » ولكن : يبدوأن الرسول لم يجد الفرصة السانحة لتنفيذ تلك الخطة الحكيمة ، ويبدو أيضا أن أبا بكر كان مشغولا في حروب الردة ، وتنظيم الجزيرة، وتثبيت أقدام المسلمين بها ، فلم تتح له فرصة التنفيذ هو الآخر حتى فعلها عمر ثم هبت الخلوف ، ولا ندري ، متى ؟

وبقيت وسيلة أخيرة ، لتقاوم الاستبداد ، من حاكم ظالم، أو جماعة ضالة ، أو فرد متمرد .. كمصدر من مصادر التعطيل ، لم أعثر لها بعد على نص خاص . وأعتقد قبل الترجيح أن السبب في ذلك ، هو تكفل كليات الفكرة الإسلامية مباشرة ، بمقاومة هذا المصدر، في نظام الحكم، وفي تشريع الفئة الباغية ، والمحاربون الله ورسوله والساعون في الأرض بالفساد

وبهذه الوسائل الكلية والفرعية ، والتوجيهية والتشريعية ، المقرة الواقية : لفريضة الحج وقواعده ؛ تحفظ طبيعته حية ، منتجة ، محققة الأهداف : ذات كيان يلمسه الناس ، ويؤمنون بجدواه ، ولكن هذه الوسائل، يتوقف تنفيذها على كل مسلم ، على وجدانه ومقله ، وعلى يقينه وعمله ، وعلى خضوعه للأمر

دراسة وتحليل

الجواهرى شاعر العراق

للأستاذ محمد رجب البيومى

— تتمة —

فنه الشعرى :

لا بد لنا من كلمة عن مذهب الشاعر فى فنه ، وطريقته الأدبية فى بيانه ، وفيما تقدم فى شعره ما يكفى لإيضاح الرأى . ويمكننا أن نلمح ميزات ثلاثا يتسم بها شعره ، وتظهر مشتبكة متعانقة فى قريضه، فلا تتخلف واحدة عن أختيها بحال ، هذه الميزات الثلاث هى ، صدق الإحساس ، وقوة التعبير ، وواقعية التفكير

فصدق الإحساس يخلع على أدب الشاعر عاطفة قوية حارة ، تشتعل وتتقد فى سطوع وبريق ، وتدفع صاحبها إلى الإجادة والتأثير ، كما يكون لها سحر أخاذ فى نفوس القراء ، فما يكاد القارئ يتلو إحدى القصائد حتى ينفعل بانفعال ناظمها ، ويسير فى تياره حيث اتجه ، وتصل الأبيات إلى القلب فتحرك كوامنه وتهيج أحاسيسه ، وهنا يكون الأثر المنشود للأدب بوجه عام ، والشعر بوجه خاص ، بل إن الصدق ذاته يجعلك تحس فى أعماق نفسك بخواطر متشابهة لما تقرأ ، وكأن الشاعر يعبر عن عواطفك أنت . فقد سلط أشعته على قلبك ، ونفذ إلى أغوارك فرأى الخوالج المستترة ، والكوامن الموغلة ، فجمع أشتاتها المتنافرة ، واتخذ منها مادة شهية لأدبه ، وقد تكون خواطر الشاعر الصادق بعيدة عن شعورك ونبضك ، ولكنك تجدها محببة أثيرة لديك ، وكأنك كنت تحسها قبل ذاك ! وأمامك أبيات يقولها الجواهرى فى رثاء بعض أصدقائه الشعراء ، تجد فيها كثيرا مما تحب أن تسمعه سواء أحسست به قبل ذلك أم بعد من إحساسك ، فهو رائع خلاب

أصخت لمن نعاك على ذهول كأنى قد أصخت لمن نعانى
وكنت أحس أن هناك رزءا وأجهل كنهه حتى دهانى
لمنت اللفظ ، ما أقسى وأطغى وما أعصى على صور المعانى
تقاضانى بيومك ترجمانا وكنت ألوذمنه بترجمان

وصدق الإحساس يلبس حلة زاهية، إذا اقترن بقوة التعبير وهى الميزة الثانية للشاعر . والناس من قوة التعبير فى ليل مشكل، فقد فهمها الكثيرون على غير وجهها الصحيح ، فرأوها فى ترادف الغرابة فى اللفظ ، والقعقعة فى الصوت ، فكل بيت تحتاج فى فهمه إلى معجم لغوى فهو قوى كمعلقة لبيد ، وكل شاعر يطحن فى سمعك قرونا صلبة فهو متين رصين كابن هانئ الأندلسى فى رأى أبى العلاء . وليست قوة التعبير لدى الجواهرى من هذا الطراز العجيب ، ولكنها تظهر فى تماسك الألفاظ ، وترابط المعانى مع الوضوح والإشراق . وهى بوضوحها لا تتنافى مع السلاسة والسهولة ، فقد تكون القصيدة من السهل الممتنع وهى آية فى قوة التعبير ، ورصانة التركيب ، بل إن السلاسة دائما طريق الشاعر المبتدئ إلى المقدرة والإبداع ، فإذا سار فى ميدانه خطوات وجد قوة التعبير تأخذ بناصره ، وتشد أزره ، مع احتفاظه بالرونق الخالب والانسجام المترابط . وقد بدأ الجواهرى قصائده سهلا رقيقا وكلف بشعراء السلاسة كلفا زائدا ، وتفيأ روائع الوليد وابن زيدون فى القديم، وحافظ والرصافى فى الحديث ونسج على منوالهم الرقيق المبدع فى نظمه . وقد قرأت له بعض القصائد التى نظمها فى صدر شبابه ، فكدت أنسبها إلى البحترى بعينه ، وأخص قصيدة « سامرا » الرقيقة العذبة التى قالها البحترى فى القرن العشرين على لسان الجواهرى، ومنها :

الإلهى بالتطهير فى الوسيلة الأولى ، فإذا حدث ، وتدهورت طبيعة الحج بانهيار أساس من أساسه ، أو وسيلة من وسائله ، فسببه ليست الفكرة ولا وسائلها ؛ إنما هو عدم الاستجابة بالفهم واليقين ، والسلوك والعمل . إنما هو انهيار الوسيلة الأولى المساعدة ؛ إنما هو التقاعد والتقاعس ، حبا فى الحياة ، ولو ذليلة مهيضة الجناح مسلوبة القيم.. إنما هو النقص فى الدين، أو الخروج عن الإسلام

محمد فياض

إيه أحبـاى الذين ترعرعوا ... ما بين أوضاح الصبا وحجوله
إنى وإن غلب السـلو صبابتى ... واعتضت عن نجم الهوى بأفوله
لتشوقنى ذكراكمو ويهزنى ... طرب إلى قال الشباب وقيله
أحبابنـا بين الفرات تمتعوا ... بالعيش بين مياهه ونخيـله
بلد تساوى الحسن فيه، فليـله ... كنهاره، وضحـاؤه كأصيله
ساجى الرياح كأنما حلف الصبا ... ألا يمر عليه غــير عليله
وكفـاك من بلد جمـالا أنه ... حدب على إنعاش قلب نزيله

وقد سار الجواهرى مع سلاسته الرقيقة عدة أشواط، حتى صاحبته القوة والتماسك. فاتفق له من ذلك كله ألحان عذبة صادحة. تختلف انخفاضا وارتفاعا باختلاف ما يعالج فى شعره من الأغراض، وقد نسمع له بعض الجلبة الصاخبـة فى قصـائده السياسية، وهى صدى لـما يهتز فى نفسه من انفعال ثائر يأخذ مظهره فى جو من الصخب والضجيج، وفيما أسلفناه من الشعر دليل لـما نقول

هذا وقد تعثر فى شعره على ألفاظ يسيرة تنكرهـا معاجم اللغة، أو القواعد النحوية والعروضية كقوله

ولن تجـدى كبابانا نصيرا ... يدق من الأسى راحا براح

وقوله

أحقاً وأمات البلاد ولودة ... وأنك يا أم الفراتين أنجب

وقوله:

وأى زمان من مكارم أهـله ... النفى والتشريد والإعـدام

هـذه الأبيات وأمثالها تجد نقدا صاخبا من المتتبعين للأخطاء المطبعية والهنات اللغوية — وكثير ما هم فى بريد الرسالة — ويحسبون أنهم ظفروا بصيد عين بحر إليهم نصيبا من الذبوع والحقيقة أن شاعرا كبيرا كالجواهرى ومن على شاكلته من أنداده الأفذاذ لا يجهلون قواعد النحو، ومسائل اللغة، ولـكن يهملون بعض القيود التى تحدمن تدفقهم الزبد، وقـد يرفضون قاعدة علمية، فيقطعون همزة الوصل، ويضعون ضمير النصب فى غير مكانه، وهم يعرفون جميع ما يقوله النحاة واللغويون، ولست أوافقهم على مذهبهم فى الاستهانة بالقواعد العلمية، ولكنى أدعو سـادتنا المتعقبين الأفاضل أن يريحوا أنفسهم من النقد اللغوى المكشوف، لأن التعقيب يكون واجبا إذا جهـل المنقود حقيقة خطئه؛ أما إذا كان الخطأ معروفا لطلبة المدارس الثـانوية — والابتدائية أحيانا — فلمـاذا نشغل به الناس

وعمى إلى ميزة الشاعر الثالثة، وهى واقعية التفـكير، والشعر العربى فى شتى عصوره يصطبغ بالواقعية ويسايرها فى كل مكان وزمان، ولـكن الهائمين بآداب الغرب وروائعه سنوا فى الشعر مذاهب جديدة، فأصبحنا نرى الشعر الرمزى الغامض، والخيالى الطائر المتذبذب، وصار لـكل لون أبطاله ورواده، ولـكن هناك حقيقة واحدة لايستطيع أن ينكرها منكر، تلك الحقيقة تنبى أن رواد المذاهب الشعرية الحديثة لم يستطيعوا أن يفرضوا مذاهبهم على قراء الشعر العربى، وأعوزهم أن يجدوا الشاعر الوثاب الذى يجذب الأنظار إلى مذهبه، ويخلق له فريقا من الأشياع والتلاميذ، وبهذا بقيت الواقعية صفة ملازمة للشعر العربى، على أن هناك أغراضا شعرية يتحتم على المتجه إليها من الشعراء أن يـكون واقعيا، فالشعر السياسى والاجتماعى يتطلب الواقعية المحيطة الشاملة، ولاسيما إذا كان الشاعر ذا رسالة خاصة فى الإصـلاح والتوجيه، فهو مضطر إلى إلهاب العواطف واستحثاث الجماهير، ولن يكون ذلك بغير الحديث الواضح المعقول! وهب أن شاعرا مصلحا كالجواهرى لجـأ إلى الرموز الغامضة، والخيالات التائهة، والأشواق البعيدة، والسبحات الحالمة، واتخذ منها مادة لرسالته فى البعث والإصلاح، أفيجد من القراء من يستجيب لصرخاته، أو يحس بإحساسه وشعوره؟ هـذا ما لا يعقل بحال. ويجب ألا نغفل من حسابنا أن الشعر الرمزى يحتاج إلى عقل يغوص، وذهن يملل، مما يجعل القصيدة شبيهة بمسألة حسـابية أو معادلة جبرية، وبذلك تفقد تأثيرها السـاحر، وتعجز عن أداء رسالة الشعر فى التأثير والانجذاب. وأنا لاأنكر بعض الاهتزازات الغامضة التى تختلج فى النفس حين يقرأ الإنسان بعض القطع الرمزية. ولـكن هـذه الاهتزازات الغربية تخلق مزيجا غريبا من الحيرة والقنوط والتساؤل، وتغرق القارئ فى بحر لجى لاساحل له، وهيهـات أن يرحب بالغرق عاقل حصيف، فمتى يجد هؤلاء الحالمون الواهمون شاعراً كبيراً يقود الأذواق إلى مذهبهم الجديد فيمهد له سبيل الذيوع

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

على أن الواقعية قد أصيبت بكارثة فادحة ، تحاول أن تبغضها إلى الأذواق والقلوب ، فقد دأب بعض الشاعرين أن يتخذوا من الحوادث اليومية ، والأخبار الصحفية مادة للنظم الواقعي فيصدموا القراء بما هو شبيه بقول حافظ إبراهيم

ثلاثة من رجال النيل قد وقفوا
على مدارسنا سبعين فدانا

ثم يدعون أنهم يعيشون فى الحياة ، ويسيرون مع الواقع ، ويعبرون عما يجد فى البيئة من شؤون . ويجب أن يفهم هؤلاء السادة أن رسالة الشاعر الواقعي ليست هى التعبير عن الأخبار الصحفية بكلمات موزونة مقفاة ، ولكنه يرى الحادثة فيتأثر بها ، وتثير فى نفسه انفعالات خاصة ، وتصل إلى ذهنه فتوحى إليه فيضا من الإلهام الصادق ، ثم تجول فى خاطره ثائرة حارة ، فلا ينقذه منها غير التعبير عما تخلقه من انفعالات ، وما توحى به من إلهام يبرق بالومض والالتماع . وهنا تكون الحادثة نواة صغيرة لما يدور حولها من ذبذبة وانفعال؛ أما أن تكون الحادثة وحدها مصبوبة فى القوالب العروضية ، فالأجدر بالقارئ أن يغفلها تمام الإغفال ، مكتفيا بما قرأه عنها فى الصحف والمجلات

وقد نأخذ على الجواهرى إخلاله بوحدة القصيدة ، ونرى أنها تتعذر على الشاعر السياسي الذى تتعدد أمامه مظاهر الفساد فيريد أن يلم بها وينبه عليها فوق كل منبر يعتليه ، فإذا تركنا الشعر السياسي إلى غيره وجدنا الشاعر يلتزم الوحدة فى أكثر ما قال ، وللقارئ أن يطالع قصائده الوصفية مثل دجلة فى الخريف أو الفرات الطاغى؛ أو الأصيل فى دجلة أوسامرا، فسيجد ما يرضيه من وحدة الموضوع، وترابط المعانى، وتناسق الأفكار. ويهمنا أن نشير إلى مقطوعاته الغزلية الرقيقة التى نظمها فى حبيبته الباريسية « أنيت » فقد ظهر فيها الشاعر جديدا فى أخيلته ومعانيه ، جديدا فى أوزانه وقوافيه، جديدا فى نظرته الباسمة للحياة والناس، مع أنه لم يفارق ميزاته الثلاث ، فكان صادق الإحساس ، قوى الضمير ، واعي التفكير ، فوق طرافة الابتكار ، وجدة السياق، واختلاف الإيقاع . ونرى أن أودع الشاعر — فى ختام هذا البحث السريع — بأبيات من قصيدته الجميلة التى نظمها فى وداع صديقته «أنيت» لتمتع القارئ ببعض غزله الرائق، ولتصيد المناسبة الموهومة بين وداع ووداع

« أنيت » نزلنا بوادى السباع
بواد يذيب حديد الصراع
يمير فيه الجبان الشجاع
(أنيت) لقد حان يوم الوداع
إلى إلى حبيبى « أنيت »
إلى إلى بجيد وليت !
كأن عروقهما النافرات !
ضروب من الكلم الساحرات

* * *

إلى بذاك الجبين الصليت
تخافق عن جانبيه الشعر
يبث إلى أريج الزهر
سيعبق فى خاطرى ماحييت
ويذكرنى صبوتى لونسيت
إلى إلى حبيبى « أنيت »

(تم البحث)

محمد رجب البيومى

وزارة الحربية والبحرية

تقبل عطاءات بديوان الوزارة لغاية يوم ٣٠/٧/١٩٥٢ عن توريد أدوات كهرباء — سلك — دواية — ماسك كروشيه — عازل صينى — مواسير زنك — مفتاح — موصل كهرباء — لمبات وخلافه

وتطلب الشروط على ورقة تمغة فئة الخمسين مليما مقابل مبلغ ٢٥٠ مليما من إدارة العقود والمشتريات بالوزارة ، تضاف إليها ٨٠ مليما أجرة البريد

٢٠٤٨

ديوان مجد الاسلام

نظم المرحوم الشاعر أحمد محرم

يقدمه الأستاذ ابراهيم عبد اللطيف نعيم

من قباء إلى المدينة

أقبل فتلك ديار يثرب تقبل … يكفيك من أشواقها ما تحمل
طال التلوم[1] والقلوب خوافق … يهفو إليك بها الحنين الأطول
القوم مذ فارقت مكة أعين … تأبى الكرى وجوانح تتململ
يتطلعون إلى الفجاج وقولهم … أفما يطالعنا النبي المرسل ؟[2]
أقبلت في بيض الثياب مباركا … يزهى البشائر وجهك المتهلل[3]
يا طيب ما صنع الزبير وطلحة … ولصنعك الأوفى أجل وأفضل
خف الرجال إليك يهتف جمعهم … وقلوبهم فرحا أخف وأعجل
هي في ركابك ما بها من حاجة … إلا إليك ، ومالها متحول
هجرت منازلها بيثرب وانتحت … أخرى بمكة دورها ما تؤهل
وفدان هذا من ورائك يرتمي … عجلا وهذا من أمامك ينثيل[4]
انظر بني النجار حولك عكفا … يردون نورك حين فاض المنهل[5]
لم ينزلوك على الخؤولة وحدها … كل المواطن للنبوة منزل
نزلوا على الإسلام عندك إنه … نسب يعم المسلمين ويشمل
ما للديار تهزها نشواتها ! … أهي الأناشيد الحسان ترتل[6]
رفت نضارتها وطاب أريجها … وترددت أنفاسها تتسلسل
فكأنما في كل مغنى روضة … وكأنما في كل دار بلبل
هن العذارى المؤمنات أقمنه … عيدا تحييه الملائك من عل

(١) التمكث والانتظار (٢) كانوا يخرجون كل غداة إلى الحرة ينتظرونه صلى الله عليه وسلم حتى يردهم حر الظهيرة (٣) هي الثياب التي كساه إياها الزبير وطلحة في قفولهما من الشام بتجارتهما (٤) ينصرع

(٥) كان معه في قدومه من قباء إلى المدينة ملأ من بني النجار متقلدين سيوفهم ، وهؤلاء غير الذين لقوه واحتفلوا بقدومه (٦) فرح النساء والعذارى كما فرح الرجال بمقدمه ومما قيل في ذلك :

نحن جوار من بني النجار … يا حبذا محمد من جار

في موكب لله أشرق نوره … فيه وقام جلاله يتمثل
جمع «النبيين الكرام» فآخذ … بيد «الإمام» وعائذ يتوسل
يغشى به «الروح الأمين» مسلما … وجبينه بفم النبي مقبل
إيه بني النجار إن محمدا … لأشد حبا للتي هي أجمل[7]
خلوا سبيل الله ، ما لرسوله … عما أعد من المنازل معدل
ذهبت مطيته ، فقيل لها قفي … هذا مناخك ، لست ممن يجهل
الناس في طلب الحياة وها هنا … سر لها خاف ، وكنز مقفل
أعطى أبا أيوب رحلك واهتدى … من أمر ربك ما يجيء ويقبل
ودعى الزمام «لأسعد بن زرارة» … فإليه بعد الله أمرك يوكل[8]
لما حملت الحق أجمع والهدى … أمسى بحبل الله حبلك يوصل
يتنافس الأنصار فيك وبادروا … لن الفخار ، وأيهم هو أول
هي «كيمياء الحق» لولا أنها … تهدى العقول لخالها لا تعقل
دنيا من العجب العجاب ودولة … يهوى النضار بها ويعلو الجندل
أرأيت أهل الكهف لولا سرها … هل كان يكرم (كلبهم) ويبجل
شكرا (أبا أيوب) فزت بنعمة … فيها لنفسك ما تريد وتأمل
ما مثل رفدك في المواطن كلها … رفد يضاعف . أو عطاء يجزل
لله دارك من محلة مؤمن … نزل الحمى فيها ، وحل الفيصل
نزل النبي بها ، فحل فناءها … مجد يقيم ، وسؤدد ما يرحل
مجد (النبوة) في ضيافة ماجد … سمح القرى يسدي الجزيل ويبذل
وسمت جفان المطعمين جفانه … كرما فما يأبى ولا هي تبخل[9]
أضفى على السعدين[10] برد سماحة … فاهتز جودهما وأقبل يرفل

(٧) كان صلى الله عليه وسلم كلما مر في طريقه إلى المدينة بقوم يسألونه أن ينزل فيهم فيقول : خلوا سبيلها – يعني ناقته القصواء – فإنها مأمورة ، فلما بلغ دار عدي بن النجار قال له بنوه : نحن أخوالك ، لا تجاوزنا فقال : خلوا سبيلها فذهبت حتى بركت عند دار بني مالك بن النجار بمقربة من باب أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه وذلك في محل المسجد ، واستأذن أبو أيوب النبي في حمل رحلها إلى داره فأذن له ، ونزل رسول الله ومعه زيد بن حارثة رضي الله عنه على أبي أيوب وقال المرء مع رحله . فمكث عنده حتى تم بناء المسجد

(٨) أخذ سعد بن زرارة رضي الله عنه ناقة النبي إلى داره (٩) كان المسلمون يتنافسون في حمل الجفان إلى دار أبي أيوب كرامة للرسول الكريم ومشاركة منهم في شرف ضيافته وكانت توافيه جفنة سعد بن عبادة وجفنة أسعد بن زرارة رضي الله عنهما كل يوم ، وكانت جفنة سعد بعد ذلك تدور معه صلى الله عليه وسلم في بيوت أزواجه رضي الله عنهن

(١٠) هما سعد وأسعد على قاعدة التغليب

جذلان محتفلا يقرب منهما ... لله مايرضى وما يتقبل
جعل القرى سببا إلى رضوانه ... والبر والإيمان فيما يجعل

جفنة أم زيد بن ثابت (١١)

يازيد من صنع الثريد وماعسى ... ترجو بماعات يداك وتأمل ؟
بمثتك (أمك) تبتغى فى دينها ... مايبتغى ذو الهمة المتعمل
شكر النبي لها، وأطلق دعوة ... صعدت كما شق الفضاء مجلجل
أطيب بتلك هدية يسمى بها ... فى الله ساع بالجلال مظلل
لو أنها وزنت بدنيا (قيصر) ... رجحت وأين من الخضم الجدول
هى إن عييت بوصفها مايجتنى ... من نعمة الإسلام، لامايؤ كل
مافى جهادك (أم زيد) ريبة ... نارالوغى احتدمت وأنت الجحفل
شرع (١٢) سرابيل الحروب وما اكتسى ... من سابغات الخير من يتسربل

المهاجرون فى ضيافة الأنصار

يامعشر الأنصار هل لى عندكم ... ناد يضم النابغين ومحفل ؟
عندى لشاعركم تحية شاعر ... يسم القوافى وسمه يتنخل (١٣)
تنميه فى دنيا البيان روائع ... منها رواكد ما تريم، وجفل
الثاويات على هدى من ربها ... والسابحات السانحات الجول
شغلت بها الدنيا وماهي بالتى ... تمنى بدنيا الجاهلين وتشغل
تأبى القرار بكل واية ممحل ... وتحل بالوادى الذى لا يمحل
(حسان) أبلغ من يقول وليس لى ... فيه إذا ادعت المصاقع مقول (١٤)
أنتم قضيتم للنبى ذمامه ... ونصرتم الحق الذى لا يخذل
وصنعتم الصنع الجميل كرامة ... لمهاجرين هم الرفيق الأمثل
فعرفت موضعكم وكيف سمابكم ... مجد لكم فى المسلمين مؤثل
وأذعته نبأ لكم ما مثله ... نبأ يذاع ولا حديث ينقل
القوم قوم الله ملء دياركم ... وكأنهم بديارهم لم يرحلوا (١٥)
الدين يعطف والسماحة تحتفى ... والحب يرعى، والمروءة تكفل

(١١) كان أول طعام أهدى إلى النبي صلى الله عليه وسلم فى المدينة.. قال زيد له هذه قصعة أمى فقال : بارك الله فيها (١٢) سواء
(١٣) يختار .
(١٤) ادعت انتسبت لإظهار فضلها وشرف سابقتها ، والمصاقع جمع مصقع البليغ العالى الصوت لا يرتج عليه فى كلامه ، والمقول هنا من أسماء اللسان (١٥) تفرق المهاجرون ضيوفا كراما فى دور الأنصار

والله يشكر، والنبى بغبطة ... والشرك يصعق والضلالة تذهل
(دين الهدى والحق) فى أعراسه ... والجاهلية فى المآتم تعول
إن هالها الحدث الذى نكبت به ... فلسوف تنكب بالذى هو أهول
زولى معطلة العقول، فمن قضى ... أن البصائر والعقول تعطل ؟!
ألق السلاح، فما لخصمك دافع ... ودعى الكفاح، فالجندك موئل
أزرى بك الفشل المبرح وارتمى ... بحماتك القدر الذى لا يفشل
السهل يصعب إن تواكلت القوى ... والصعب إن مضت العزائم يسهل
أرمى العاقل مؤمن، لا نفسه ... تهفو، ولا إيمانه يتزلزل
هذا النذير فإن أبيت سوى الأذى ... فالأرض بالدم لا محالة تغسل
علقت بعقلك السهام وماعسى ... يبقى الرمي إذا أصيب المقتل ؟
الله أكبر، كل زور ينقضى ... مر السحاب، وكل إفك يبطل

ظهرت الطبعة الثانية للرحلات الأولى والطبعة الأولى للرحلات الثانية من كتاب

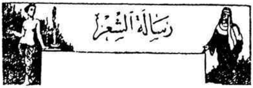
رحلات

لصاحب العزة الدكتور عبد الوهاب عزام بك

سفير مصر فى الباكستان

ثمن الأول ثلاثون قرشا والثانى أربعون قرشا عدا أجرة البريد

والمجلدان يطلبان من مجلة الرسالة ومن المكتبات الشهيرة



خـــواطر

لصاحب العزة الدكتور عبدالوهاب عزام بك

قانون البشر

يسير الناس على هذه الأرض فى سبل الحياة ، تتبهم السبل أحيانا وتظلم ، وتعترض العقبات ، وتبعد الشقة ، ولكن الأمل يحدوهم ، والوجدان يبصرهم فيهتدون ويسيرون

قيل : ليل مظلم قلت : اذكروا — فى ظلام الليل إشراق الصباح
قيل : غيم مطبق قلت : انظروا — رب نجم من وراء الغيم لاح
قيل : مهيع طامس مشتبه — قلت : لكن فيه للسفر اتضاح
قيل : لكن برح السير بنا — قلت : بعد السير إسعاد النجاح
قيل : والمنزل ما آيانه ؟ — قلت : فى مغناه للنار اقتداح (١)
قيل : هل ذاك قصارى سيرنا — قلت : بل نزل به السفر يراح
قيل : فالتسيار ماغايته ؟ — قلت : كل الدهر سير ، لابراح

لست طروبا

قال لى اللاغون : لست طروبا — لك حقا إلى الصخور انتماء
كم تثير الأوتار لحنا فلحنا — وبهز الأوتار منا غناء
وترى الناس ثار الموج لكن — أنت فى الموج صخرة صماء

• • •

وعلى البحر والمشى صموت — غير لحن تثيره الدأماء
والهلال النحيل يلقى خيوطا — هى فى لجة الدجى أسداء
قد طربنا ولم يهز فؤاداً — فيك نور ولم يهز الماء

• • •

كم رأينا الجمال قيد عيون — لك منه برغمنا إغضاء

تدعى الشعر والفؤاد جماد ! — كيف ترضى انتسابك الشعراء
إن تكن شاعرا فأمرك بدع — أنت فى الشعر بيننا إقواء
حسبك الله قد بلغت ملاما — وجماك الصواب هذا الهراء (٢)
طرب الطفل وثبة وصياح — ومن الكهل بسمة خرساء
ومن الغصن فى الرياح اهتزاز — ومن الطود عزة شماء
ضاق قلب عن الجمال مجالا — فإذا كل سره أصداء
رب قلب وعى الجمال ولكن — عز فيه لسره إفشاء
رب قلب حوى العوالم طرا — تصغر الأرض عنده والسماء

مافوق هذى الأنجم

قال الصديق ، وقد أطال حواره : — ياصاحبى ! ماذا وراء الأنجم ؟
قد هالنى منه سؤال هائل — فأجبته بتعجب وتبسم !
ياصاح ! هذى الزهر هل أدركتها — حتى تجوز إلى السؤال المفحم ؟
ياصاح ! ماتحت النجوم ؟ أعالم — ماتحتها فى الكون أم لم تعلم ؟
ياصاح ! أرضك هذه هل تعرفن — مافى ضمير الأرض من مستعجم ؟
بل ماعليها ؟ هل أحطت بعلمه — فى البر أو فى كل بحر خضرم
وجمادها ونباتها والسر فى — حيوانها من ناطق أو أعجم
أعرفت هذا الإنس فى آحاده — وثباته فى بؤسها والأنعم
ابدأ بنفسك فاعرفنها جاهدا — والأرض فانفذها بعقل مقدم
واصعد بعلمك طالبا من مستوى — ما فوقه ، كالمرتقى فى السلم
فإذا بلغت من الكواكب منزلا — فهناك فاسأل ما وراء الأنجم

(١) لايهتدى الناس الى الغاية فى هذه الحياة الا بيصيص من الإلهام يدلهم على المنزل .

(٢) هذا البيت وما بعده جواب اللائمين

النهر الشاعر *

للاستاذ أنور العطار

نقلها إلى الإنكليزية شعراً المستشرق البريطانى الكبير السيد « أرثور جون أربرى » أستاذ الآداب العربية فى جامعة « كامبرج » فى كتابه « أزهار الشعر »

بردى المشتهى يفكر شعرا — وهو يحيا لحنا وينساب عطرا
فى حناياه أضلع تتناجى — وقلوب من حرقة الحب حرى
خبر العالمين جيلا فجيلا — ووعى الكائنات دهرا فدهرا
خط فى مصحف الوجود سطورا — باقيات تختال تيها وكبرا

* من كتاب « أزهار الشعر » ص ١٣ لندن — مطبعة طيلوس للكتب الأجنبية جمع ونقل : « أرثور جون أربرى »

الكتب

صلاح الدين الأيوبى

مسرحية

للداعية الأستاذ عبد الرحمن البنا

للأستاذ محمد رجب البيومى

الأستاذ عبد الرحمن البنا مؤلف مسرحية « صلاح الدين الأيوبى » داعية غيور متحمس لعروبته وإسلامه ، وخطيب ساحر تعرفه منابر الإخوان المسلمين فى عواصم المديريات ومراكز القطر المصرى ، وهو — فوق ما يتمتع به من البيان الجزل ، والأدب الرصين — يستمد من إيمانه العميق ينبوعا دافقا للحديث المؤثر الخلاب ، وقبسا ساطعا للهداية الملهمة الرشيدة ، وأنت تجلس إليه فى حديث عام فتسمع كلمات : « العروبة والقرآن ومحمد » تتزاحم مطردة فى غير سأم ونشاز على لسانه ، فتدرك أن معانيها الحبيبة قد تحولت دما يجرى فى عروقه ، وعاطفة تتأجج فى جوانحه ، وعصبا تمتد شباكه فى رأسه ، ورغم دراسته المدنية ، قد حفظ القرآن الكريم حفظا جيدا ، وفهم شروحه المتنوعة فهما واعيا مستنيرا ، وحفلت ذاكرته بعدد زاخر من الأحاديث النبوية المنتقاة ، ودراسة وافية للتاريخ الإسلامى فى شتى عصوره ، فتهيأ له من ذلك مادة غزيرة تنصره فى ارتجاله الخطابى الذى يتكرر فى اليوم الواحد عدة مرات ، وترفعه إلى مستوى يتطلع إليه كثيرون من أصدقائه ومريديه

وقد رأى أن يخدم دعوة الإخوان (التى حمل لواءها شقيقه الإمام الشهيد رضى الله عنه) — بقلمه كما خدمها بلسانه ، فأظهر عدة روايات إسلامية تبرز العناصر الهامة فى تاريخ الدعوة المحمدية ، وتصور للقراء انتصار الفكرة الخالصة ، والعقيدة الصادقة ، وقد مثلت جميعا فى فترات متقاربة ، وحظيت بإقبال الجمهور وتزاحمه رغم بعدها الشديد عن التدجيل المسرحى الوضيع ، والذى يتملق الغرائز ويستثير العواطف ، بل قيد الكاتب نفسه فى كل كلمة وحركة بآداب الإسلام ، وتعاليمه المنتقاة ، وهذه روايته الرائعة « جميل بثينة » — مع ما يلوح من بعدها عن محيط الفكرة الإسلامية — قد حلقت فى هذا الأوج الطاهر الرفيع ، فصورت معانى الوفاء والمروءة والصدق والشرف ، ورسمت — فى فصل طويل — مناظر الحج والعمرة والطواف والسعى والاستلام ، والنسك ورمى الجمرات والأضحية والتلبية ، وقد أطال الكاتب فى ذلك إطالة ممتعة مشوقة ، يهب منها شذى إسلامى عاطر ينعش الأفئدة ويجذب الأرواح

وحين تقدمت الجيوش العربية إلى نجدة فلسطين الشقيقة رأى الأستاذ أن يهتبل الفرصة ، فيذكى الحماس ، ويثير الحمية ، فأخرج مسرحيته الرفيعة عن صلاح الدين الأيوبى ، ومثلتها الفرقة الإسلامية للمسرح بدار الأوبرا الملكية إبان اشتعال المعركة منذ أعوام ، فتركت أثرها القوى فى نفوس الشبيبة الطاهرة من كتائب الإخوان ، واندفعوا إلى حومة الاستشهاد باذلين أرواحهم رخيصة فى سبيل الله ، وقد شاء المؤلف أن ينشر مسرحيته اليوم على الناس ، فأبرزها فى حلة زاهرة قشيبة ، وقد حفلت بثلاثة فصول قوية محكمة .. وإذا كان العمل الفنى يشوه بالتلخيص تشويها يذهب بأصالته وعمقه وجدته ، فنحن نكتفى بذكر العنوان الموجز لكل فصل من الفصول ، فالأول منها يصف المؤامرة

معجبات أنق من الفن لألا ءوأبهى من سطعة العلم فكرا

يتلوى زهواً كراقصة الحا ن تنزى وجداً وتقطر خمرا

مر فى الأرض كالربيع ائتلاقا وكأيامه صفاء وبشرا

وكسا جلق الأنيقة ثوبا عبقريا من نعمة الفجر أطرى

* * *

أيهذا النهر الحبيب إلى نفـ ـسى ويا ملهمى إذا قلت شعرا

عش بقلبى لحنا على الدهر حلوا وامر فى خاطرى فنونا وسحرا

أنور العطار

الخبيثة التى دبرها الفاطميون لمحق الدولة الأيوبية بمصر ، والثانى والثالث يصوران المعارك الحامية التى شنها بطل الإسلام صلاح الدين على أعداء العروبة من الصليبيين . وقد وفق الكاتب حين عمد إلى إبراز الأوضاع السياسية الغابرة التى تشترك مع أوضاعنا الراهنة فى كثير من الأمور ، فالهدنة المعقودة، ونقضها المتكرر ، وقتل النساء ، والأطفال والشيوخ ، وتحالف الدول الغربية مع الباطل أمام الحق ، وتدفق الكتائب الإسلامية من مصر وسوريا وفلسطين ... كل ذلك كان بالأمس كما هو اليوم !! وإذا كان النصر النهائى قد حالف صلاح الدين القوى المتسامح فى وثبته الظافرة ، فما زالت معركة اليوم تتطلب فصلا أخيرا يرجع الحق إلى نصابه ، ويقشع عن فلسطين كابوس السفلة الأنذال ، فعسى الله أن يأتى بالفتح أو أمر من عنده فتحقق الآمال، وتتفق المعركتان !!

وإنى لأهنئ الأستاذ المؤلف بجهاده وإيمانه ، وأبارك جهوده الموفقة فى سبيل دينه ووطنه ، ولا زلت أنتظر على يده السداد المأمول ، فهو صدى شقيقه الإمام ، وشعاع من شمس أنارت الظلمات ، ثم صعدت إلى ملئها الرحيب فى جنات النعيم ، راضية مرضية برضوان الله وثوابه العميم

محمد رجب البيومى

البريد الأدبي

المواهب المقبورة :

نشرت جريدة المصرى فى ١٢/٧/١٩٥٢ أن وكالة « تاس » للأنباء السوفيتية أذاعت بأنه منح أخيرا لقب « دكتور فى العلوم العملية » لأحد الفلاحين فى مزرعة « شوكاومكا » الجماعية وقد نال هذا اللقب دون أن يقدم بحثا فى هذا الموضوع كما هى العادة.. وقالت الوكالة: « إن هذا الفلاح وصل إلى اكتشافات عظيمة تنهض بفن العمارة إلى حد كبير . ومن هذه الوسائل العملية التى استحدثها استعمال الجير الحى بدل الجير المطفأ مما يوفر ٢٥ إلى ٣٠ ٪ من الأيدى العاملة »

قرأت بعجب هذا الخبر الذى إن انطوى على شئ فإنما ينطوى على مدى ما تتمتع به هاتيك البلاد من نهضة وتقدم يدل عليهما تقديرها لمواهب الناس العلمية ، ولو كان هؤلاء الناس ممن لم يتمتعوا بالمؤهلات العلمية الضخمة ، ولا بالشهادات الدراسية العالية ، ضنا بالمواهب أن تتلاشى أو تختنق ، أو يحول بينها وبين البروز الحواجز العتيقة من المؤهلات والشهادات وما إليها ..

ترى كم فى مصر والشرق من نوابغ موهوبين فى شتى العلوم والفنون ، فهل سمعت أن وزارة من وزارات المعارف تنازلت فشملت بعطفها واحدا من هؤلاء تقديرا لنبوغهم ومواهبهم ، وضاربة صفحا عن الحواجز البالية من المؤهلات والشهادات ؟

إن فى مصر والشرق شبابا وكهولا بلغوا القمة فى النبوغ والشهرة فى شتى العلوم والفنون دون أن ينالوا ذرة من تقدير وزارات المعارف ، وليس لهم من ذنب سوى أنهم — لظروف خارجة عن إرادتهم — لم ينالوا مؤهلات ولا شهادات، ولو أنهم نالوا التقدير والتشجيع لفتحوا الآفاق الفسيحة أمام مهرة الصناع ونوابغ الفنانين ...

إن إحدى جامعات أمريكا احتاجت إلى إنشاء كرسى لفن طبائع الطيور ، ولم يشغله إلا صياد له خبرة واسعة فى صيد الطيور وهذه كل مؤهلاته أما فى مصر والشرق فإن معوقات النهضة فيهما أسلوب من الأساليب البالية التى يجب أن تتلاشى إلى غير رجعة !!

رمل الإسكندرية قبيسة الشيخ

تصويب واستدراك :

السلام عليكم وبعد فقد جاء فى العدد ٩٩١ ص ٧٣٧ للأستاذ عدنان بعنوان فى مقال لعميد الأدب ذكر المؤلفات العربية التى تعنى بالنقود أخطأ فيه الأستاذ وفاته أشياء

فأما الخطأ فقد ذكر الرسالة المخطوطة التى أشار إليها الكرملى وهى رابع كتب النقود التى يعرفها منسوبة إلى

تقي الدين المقريزي والصواب أنها لمصطفى الذهبي الشافعي كما جاء في ص ٦ من كتاب النقود العربية للكرملي

وأما ما فاته فأولاً ذكر كتاب النقود لحسين عبد الرحمن باشصراف بوزارة المالية المتوفى في جمادى الأولى سنة ١٣٦٧ وهو كتاب كبير حافل يقع في أكثر من ٢٦٢ صفحة وصدر منذ أكثر من أربعة عشر عاما وفيه صور كثير من النقود من صدر الإسلام إلى الآن

وثانيا كان ينبغي للأستاذ عدنان أن يذكر أن رسالات البلاذري والمقريزي ومصطفى الذهبي نشرها الكرملي كاملة في صدر كتابه وصححها وعلق عليها ، فالإشارة إليها أفضل من ذكر طبعة الجوائب وغيرها

وثالثا كان ينبغي للأستاذ اعتبار كتاب الكرملي خامس الكتب العربية التي تعنى بالنقود، فإنه بعد أن نشر في صدر كتابه الرسائل المذكورة آنفا ذكر أقوال ابن خلدون والقلقشندي وذلك لغاية ص١١٨ ومن ص١١٩ إلى آخر الكتاب تعرض لبحث النقود بعنوان علم النميات . والكتاب بفهارسه يقع في ٢٥٩ صفحة، وإذا أضفنا إليه كتاب حسين بك عبد الرحمن تكون الكتب العربية المعروفة في النقود ستة لا أربعة . وللأستاذ عدنان خالص التقدير ولمجلة الرسالة فائق التحية

عبد السلام النجار

النعت بالمصدر

في العدد ٧٠٦ من الثقافة الصادر بتاريخ ٧ يوليو سنة ١٩٥٢ أخذ الأستاذ الفاضل محمود فتحي المحروق على زميله الشاعر الأستاذ كمال نشأت أنه استعمل المصدر صفة في قوله من قصيدة « بحيرة البجع »

والجناح « النصوع » في لونه الأبيض
فلك يسير في استبطاء

والواقع أن الوصف بالمصدر ليس محظورا في اللغة العربية فقد قال ابن هشام الأنصاري المصري في كتابه « أوضح المسالك » : الرابع من الأشياء التي ينعت بها المصدر . قالوا : هذا رجل عدل ورضا وزور ، وذلك عند الكوفيين على التأويل بالمشتق . أي عادل ومرضي وزائر . وعند البصريين على تقدير مضاف أي : ذو عدل ورضا وزور . ولهذا التزم إفراده وتذكيره » اهـ وهناك رأي ثالث : هو أن الوصف بالمصدر على سبيل المبالغة كأن الشخص المذكور هو نفس العدل والرضا والزور . كأن هذه النعوت قد تمثلت في هذا المنعوت بشرا سويا . وفوق ذلك فإن الوصف بالمصدر شائع الاستعمال في اللغة قرآنا وحديثا وشعرا ، فمنه في القرآن قول الله في سورة الملك « الذي خلق سبع سموات طباقا ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت » أي مطابقة بعضها فوق بعض ، أو ذات طباق : أو كأنها نفس الطباق ، وللأستاذين الفاضلين تحياتي

عبد الحافظ عبد الحميد كمبة

تصحيح نسبة أبيات

ذكر نباش جريدة المصري هذه الأبيات ونسبها لعمران ابن حطان الخارجي

لولا بنيات كزغب القطا   رددن من بعض إلى بعض
لكان لي مضطرب واسع   في الأرض ذات الطول والعرض
وإنما أولادنا بيننا   أكبادنا تمشي على الأرض

وليست هذه الأبيات لعمران بن حطان الخارجي وإنما هي لحطان بن المعلى كما ذكر ذلك أبو تمام في ديوان الحماسة وهي أبيات سبعة أولها

أنزلني الدهر على حكمه   من شامخ عال إلى خفض

وبعض الرواة ينسبها إلى المعلى الطائي أحد الشعراء الذين نزحوا إلى مصر واستقروا بها

عبد العليم علي محمود

أغاني الربيع

ديوان صغير الحجم كبير المعاني للشاعر الشاب بشير حسن القطان يقع في « ٤٧ » صفحة من القطع المتوسط طبع في بغداد وأهداه إلي قبل أيام، ولست أريد في هذه العجالة أن أبين للقراء ما يحوي من شعر رقيق يبشر بمستقبل زاهر لناظمه ، ولكني

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com



الشقى المدلل

للفيلسوف الروسى (تولستوى)

كانت تقوم على شاطئ البحر الأبيض، وقريباً من الحدود الفرنسية الإيطالية مملكة صغيرة اسمها «مملكة مونا كو»، ولعل الكثير من المدن أن تختال على هذه المملكة بوفرة نفوسها وازدحام سكانها، فإن سكان هذه المملكة ما كانوا يتجاوزون سبعة آلاف! وعلى أنه لو قسمت بينهم أراضى المملكة جماء لما أصاب المواطن الواحد منهم فدانا! ومع ذلك كله فقد كان لهذه المملكة ملك حقيقى له قصر وحاشية ووزراء، وله أسقف وجيش وقادة

وعلى أن الجيش لم يكن بالجيش العرمرم الضخم — إذ ما كان عدد أفراده يزيد على الستين — فهو مع ذلك جيش له خطره وأهميته فى المحافظة على كيان البلاد... وكان للحكومة فى هذه المملكة ضرائب على الشعب تتقاضاه إياها شأن بقية الحكومات، فضريبة على التبغ وضريبة على الشراب، وضريبة أخرى غير هاتين على الرؤوس ... ومع أن الشعب كان كعامة شعوب العالم يدمن التدخين، ويتعاطى الخمور، إلا أن ضرائب الحكومة من ذلك لم تكن تسد حاجات الأمير ونفقات بلاطه وجيشه، لولم تسعفه ضريبة أخرى من مصدر جديد هو لعبة «الروليت» فكان الناس يتقاطرون من أنحاء أوربا ليقامروا هناك فى دار القمار، وسواء أربح اللاعبون أم كانوا من الخاسرين فإن لصاحب الدار حصته المعروفة من المال. وكان يجتمع له بهذا مال كثير يكون النصيب الأوفر منه للأمير... وتضخم أرباح الأمير من هذه اللعبة مرجعه أن دار القمار هذه الوحيدة من نوعها فى أرجاء أوربا كلها؛ وإذا كان أمراء الألمان قد منعوا من إقامة أمثال هذه البيوت فى بلادهم لما يقع فيها من حوادث الإجرام والأضرار المتأتية عن خسارة بعض اللاعبين ومقامراتهم ومضارباتهم وانتهائهم عند نزول الكارثة بهم إلى الانتحار بالرصاص، وإذا كان أمير «مونا كو» غير متقيد ولا تابع لسلطة من التى يطيعها أمراء الألمان، فقد ألغيت دار القمار عند أولئك وبقيت داره هذه الوحيدة فى أوربا التى لا قدرة لأحد أن يتعرض لها بشىء، وظل هو محتكراً هذه الأرباح

وكذلك كان الناس يفدون على «مونا كو» ليقامروا، فتارة يخسرون وأخرى يربحون، أما الأمير فليس له فى كلتا الحالتين سوى الربح ... وعلى أن أمير (مونا كو) كان عليما بالمثل القائل «ليس من نتائج أعمال النزاهة والشرف تشييد شوامخ القصور.» وعلى أنه كان عارفاً بأن الميسر ليس من مشرفات الأعمال فإنه لم يجد بدا من إبقاء نظام الميسر على وضعه ليسد حاجاته، وليعيش عيشة يرضاها، فكان يقيم الحفلات ويولم الولائم، ويظهر للناس بمظاهر الأبهة التى يمهدونها فى قصور الملوك. وكان يمنح المنح، ويجزل الهبات ويشكل اللجان،

أحببت أن أنبه إلى بعض الأخطاء التى وجدتها فى الديوان وهى

جاء فى قصيدة «الناى الفارسى» ص (١١) هذا البيت الخارج عن وزن الأبيات الأخر

لكن النـاى المغنى قد غدا اليوم كئيبا

بينما القصيدة كلها من مجزوء الرمل، ثم ورود لفظة عروسة كقوله فى ص «١٦» — عروسة الشعر أنت الزنبق العطر» وصوابها عروس المؤنث وعريس للمذكر، ولفظة رغاب بمعنى أمنية، وقوله ص «٤٧» — والأنجم الزهراء والصبح الأغر بينما تجمع أفعل وفعلاء على فعل فيجب أن يقول والأنجم الزهر، كما فى القرآن الكريم «سبع سنبلات خضر» و«يلبسون ثياباً خضراً من سندس» ولم يقل خضراء، هذه بعض المآخذ وهى لا تنقص من قيمة شعره الرقيق

بغداد عبد القادر رشيد الناصرى

ويشرع النظم وينشئ الحاكم . . . وكان يعرض الجيش ويطوف بأنحاء المملكة ، ويفعل فعل غيره من الملوك ولكن فى صورة مصغرة كنسبة مملكته الصغيرة إلى بقية الممالك !

* * *

وكان أهل (موناكو) معروفين بالمسالمة ولين العريكة ، فليس بينهم مجرم ولا سفاح ، حتى حدثت منذ سنوات جريمة قتل كانت الأولى فى تاريخ هذه المملكة ؛ فاجتمع لها القضاة فى يوم مشهود ليتداولوا فى شؤون هذه القضية وفق أصول العدل والانصاف . وكان ذلك الحفل المهيب يضم رجال القانون من محامين وقضاة ومحلفين ومدعين عامين . وقد ظلوا يتدارسون نصوص القانون ، ويؤولونها ، ويذهبون فى تفسيرها المذاهب حتى أصدروا حكم الإعدام على ذلك القاتل وفق إحدى مواد القانون ! وحمل القرار من بعد ذلك إلى الأمير ، فقرأه وأصدر الأمر بالموافقة على مايرتأون !

على أن مشكلة واحدة بقيت لتنفيذ الحكم ، إذ لم يكن فى المملكة مقصلة ولا كان بها جلاد ! فبحث الوزراء المشكلة وقرروا أن يفاوضوا الحكومة الفرنسية فى أمر إعارتهم مقصلة وجلاداً لتنفيذ حكم الإعدام ، وطلبوا منها معرفة مايقتضيهم ذلك من الأجور . ثم أرسلوا بالكتاب إلى رئيس الجمهورية الفرنسية .

وبعد أسبوع ورد جواب الرئيس قائلا « إن تكاليف إرسال مقصلة وجلاد تبلغ ستة عشر ألفاً من الفرنكات . » وعرض هذا على الأمير فعجب من استحالة قطع رأس هذا الأثيم إلا بهذا المبلغ الجسيم الذى لاتقوم بشيء منه حياته ! ثم طلب التفتيش عن طريقة أرخص لاترهق الأهلين بضريبة جديدة يجبرون عليها ، وربما كان من ذلك ثورة جامحة تندلع ألسنتها فتطغى على الأمن فى البلاد !

... ودعى مجلس الوزراء للبحث فى هذه المشكلة من جديد ... وعندئذ قرر المجلس إرسال طلب آخر إلى ملك إيطاليا ، ذلك بأن حكومة فرنسا جمهورية لا ترعى الود المتبادل بين الملوك وليس أمر ملك إيطاليا كذلك ، فإنه — ولا شك — سيرعى حرمة الزمالة التى تربطه بالأمير فيتساهل معه وعلى هذا فقد كتبت رسالة فى هذا الغرض وأرسلت ، فجاء الجواب : « إن من دواعى غبطة الحكومة الإيطالية تجهيز جارتها بالمقصلة والجلاد مقابل اثنى عشر ألفا من الفرنكات ضمنها تكاليف الإرسال والإعادة » وهذا الأجر وإن كان أقل من سابقه إلا أن المجرم لا يستحق إنفاق هذا المبلغ عليه ، وتكليف الرعية بأن يدفع كل فرد منها فرنكين :

وهكذا دعى المجلس ثالثة للاجتماع فتداول أعضاؤه الأمر ، وتناقشوا فى المعضلة لعلهم يهتدون إلى طريقة رخيصة فى قتل هذا المجرم . فقال قائلهم : أو لايمكن تكليف أحد من الجند بقطع رقبة هذا الأثيم ؟ وليكن ذلك كيفما اتفق إذ المهم أن يموت ! فدعى لذلك قائد الجيش وألقى عليه السؤال . فجمع هذا جنده وسألهم : أفى استطاعة أحدكم تنفيذ المهمة ؟ غير أنهم لم يجيبوه ولم يرتضوا ذلك منه ، وقالوا له : « إن ذلك ليس من شأننا — نحن — ولا كان مما سبق أن دربنا عليه ! »

هنالك فكر الوزراء وتذاكروا فأجمعوا أمرهم على تفويض النظر فى القضية إلى لجنتين : عليا ودنيا ، وأخيراً تم القرار على الاستعاضة عن حكم الإعدام بالسجن المؤبد والأشغال الشاقة ؛ وكان الأمير بهذا يستطيع أن يرى الرعية رأفته ورقة قلبه ، كأن تلك الطريقة كانت أرخص العقوبات جميعا ! ووافق الأمير على هذا الحكم الأخير وأوشك التنفيذ أن يتم لولا أن قامت أزمة جديدة ؛ تلك هى أزمة إيجاد سجن يقضى فيه هذا السجين حياته . على أنهم أخيراً وفقوا إلى إيجاد غرفة لاقامته ووكلوا به سجانا يتولى أمر حراسته وإطعامه من مطبخ القصر

ظل السجين فى محبسه تتعاقب عليه الشهور حتى اكتملت عليه سنة تماما ؛ ولكن بينا كان الأمير يفحص ميزانية الدولة ويقلب فيها نظره لاحظ أن فيها بابًا جديدا من النفقة ؛ تلك هى نفقات سجن هذا المجرم الشقى ، ولم تكن هذه بالنفقات اليسيرة البسيطة ، ولا كانت بالسهلة القليلة ، وإنما كانت شديدة الكلفة ثقيلة الوطأة على ميزانية الدولة ! فقد كان المجرم هذا حارس يمنعه من الهرب ، ورجل غيره يتولى أمر

إطعامه ! وفى هـذا السبيل صرفت ستمائة فرنك من ميزانية الدولة هذا العام ! والأدهى من ذلك أن الرجل فى ميعة الشباب صحيح البدن معافى ، ولربما امتد به العمر إلى خمسين من السنين ! ولو حسب المرء المسألة هذا الحساب لم يجدها بالسهولة التى كان يتصور ... وعلى ذلك فقد جمع الأمير وزراءه وقال لهم: « إن عليكم أن تكتشفوا طريقة غير هـذه تكون أخف مؤونة وأقل منها نفقة ، فهذه التى اتبعتموها باهظة لا قبل لنا بها ! »

وتداول الوزراء الأمر بينهم حتى اهتدى أحدهم إلى فكرة فقال لاخوانه : « أيها السادة ، إن من المعقول — فى نظرى — أن نفصل الحرس فنقتصد نفقاته» . غير أن وزيراً آخر اعترض عليه قائلا : « إن الرجل سيهرب إن لم يجد من يحرسه . » وهنالك رد عليه صاحبه : « إن ذلك ما يريدون إذ لا يهمهم أن يهرب »

وتم على ذلك الاتفاق . فرفعوا إلى الأمير تقريرا يشرحون له الأمر فوافقهم على ما يرتأون . وفصل الحارس عن عمله وظل جماعة الوزراء يرتقبون المآل حتى جاء موعد الغداء واشتد بالسجين الجوع ، فخرج بعد أن طال ارتقابه لحارسه حتى يئس منه — إلى مطبخ القصر وأخذ طعامه منه وعاد إلى غرفته وأغلق على نفسه الباب ! وعاد فى اليوم التالى فكرر ما صنع بالأمس فى الوقت المعين المحدود . وهكذا قبل السجين هذا العناء الجديد،دون أن تخطر له فكرة الهرب من هذا السجن على بال !

وإذا فماذا ترى الوزراء فاعلين ؟

هنا لك اجتمعوا وبحثوا المشكلة من جديد فقر رأيهم أن يصارحوه بعدم رغبتهم فى بقائه ، فاستدعاه (وزير العدل) إليه وسأله

— مابالك لا تهرب وليس عليك حارس يمنعك ؟ إذهب حيث شئت فلن يعنى بذلك الأمير . فأجاب الرجل : — لعلى أستطيع أن أقول إن الأمير لا يعنيه ، ولكن أين المأوى الذى آوى إليه ؟ ولا حيلة لى فى الحصول على قوتى وقد وصمتمونى بأشنع الصفات بأحكامكم التى أصدرتم على . وهؤلاء الناس لن يأمنونى بعد الآن على شىء . ذلك إلى أنى اعتدت حياة الكسل والخمول فانحططت بالتدريج . لقد أسأتم إلى حقا ، فقد كنتم أصدرتم الحكم على بالإعدام فلم تنفذوه ، ثم استعضتم عن ذلك بحكم الأشغال المؤبدة الشاقة وعينتم لذلك حارساً كان يأتينى بطعامى ، غيرأنكم — بعد برهةمن الزمن — عزلتموه فاضطررت إلى الذهاب بنفسى إلى المطبخ للحصول على مايكفينى من الطعام. ثم إنكم — بعد ذلك — تريدوننى على الفرار ! كلا ياسيدى ، كل شىء يصح إلا ماتريدوننى عليه ! اصنعوا ما بدا لكم وافعلوا بى ما حلا لكم غير أنى لن ألوذ بالفرار !

إذاً فكيف ؟

واجتمع مجلس الوزراء يبحث المعضلة بحثاً جديا حاسماً ، ولكنهم احتاروا فيما يقررون وترددوا فى اختيار النهج الذى يرون اتباع السيرعليه ... إن الرجل لن يبرح الديار أبداً . وفكروا واحتالوا فلم يجدوا غير منح الرجل (معاشا) يكفل لهم الخلاص منه ! وأنهوا الحل الأخير إلى الأمير قائلين إنه ليس من حل خير من هذا الذى ارتأوه ، وهو أن يمنح الشقى معاشاً يقيهم أذاه ، ويبعده عنهم ! فأقر الأمير رأيهم مرغما وقدر للمجرم الشقى معاشا سنويا قدره (٦٠٠) فرنك فلما أخذ فى ذلك رأيه أجاب

— أما الآن فقد طاب الفرار ! على أن تلزموا أنفسكم دفعه إلى بانتظام .

وهكذا حسمت المشكلة . وأخذ الشقى ثلث جرايته مقدما وغادر المملكة إلى مسيرة ربع ساعة بالقطار ! ونزل قرية ابتاع فيها أرضا بالقرب من حدود بلاده وزرعها متجرا بثمارها وغلاتها وعاش فى راحة واطمئنان . وكان كلما حان موعد معاشه ذهب فاستلمه ثم اتجه إلى مائدة القمار فقامر عليها بفرنكين أو ثلاثة مكتفيا بهذا القدر اليسير ورجع إلى مهجره يستأنف حياة الدعة والراحة

ولعل من حسن طالعه أنه لم يرتكب جريمته الأولى فى قطر آخر ترخص فيه أثمان قطع الرقاب وتقل فيه تكاليف الإبداع فى أعماق السجون مدى الحياة !

ف . سه

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

ظهرت الطبعة الرابعة الجديدة

للمجلد الأول من كتاب

وحي الرسالة

فصول في الأدب والنقد والسياسة والاجتماع

للأستاذ أحمد حسن الزيات بك

طبع طبعاً أنيقاً على ورق صقيل وقد بلغت عدد صفحاته خمسمائة صفحة ونيفاً
وهو يطلب من إدارة الرسالة ومن جميع المكتبات وثمنه أربعون قرشاً عدا أجرة البريد

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

مطبعة الرسالة